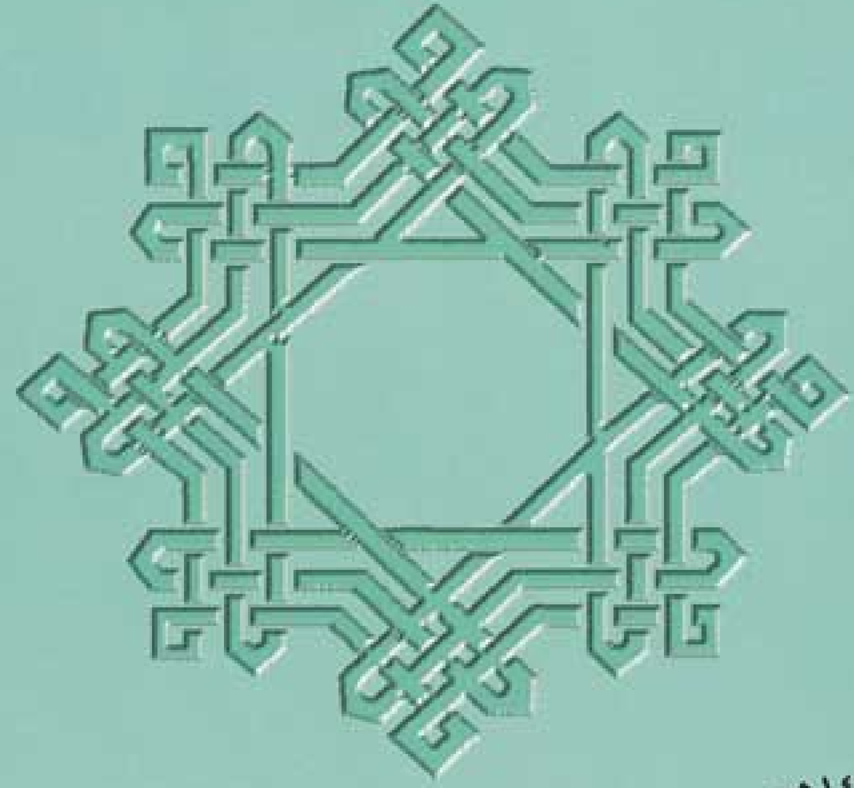
المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي



التوحيد

للصف الثاني الثانوي

أقسام العلوم الإدارية والاجتماعية والطبيعية والتقنية



١٤٢٧هـ -١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي



● قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
● هذا الكتاب وطبعه على نفقتها

التَّوْحِيد

للصَّف الثَّاني الثَّانوي

أقسام العلوم الإدارية والاجتماعية والطبيعية والتقنية

١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ
٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

يوزع مجاناً ولا يباع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية . وزارة التربية والتعليم
التوحيد: للصف الثاني ثانوي أقسام العلوم الإدارية والاجتماعية والطبيعية والتقنية - ط٣ - الرياض
٩٦ ص ؛ ٢١×٢٣ سم
ردمك : ٤ـ١٩٧ـ١٩ـ ٩٩٦٠
١ - التوحيد - كتب دراسية - التعليم الثانوي - السعودية - كتب دراسية أ - العنوان.
ديوي ٢٤٠,٧١٢ ١٩/٢١٢٨

رقم الإيداع : ١٩/٢١٢٨
ردمك : ٤ـ١٩٧ـ١٩ـ ٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فلنحافظ عليه ولنجعل نظافته تشهد على حسن سلوكنا معه ....

إذا لم نحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتنا الخاصة في آخر العام للاستفادة فلنجعل مكتبة مدرستنا تحتفظ به ...

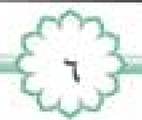
موقع الوزارة
www.moe.gov.sa
موقع الإدارة العامة للمناهج
www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج-وحدة العلوم الشرعية
runit@moe.gov.sa


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الدراسي الأول	٧
الباب الأول :مباحث في الإيمان	٨
معنى الإيمان	٨
زيادة الإيمان ونقصانه	٨
الإسلام والإيمان	١١
أركان الإيمان وشعبه	١٣
نواقض الإيمان	١٥
حكم مرتكب الكبيرة	١٩
مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة	٢٠
أثر المعصية على الإيمان	٢٣
الإيمان بالغيب وأثره في العقيدة	٢٤
الباب الثاني: أركان الإيمان	٢٧
١ - الإيمان بالله تعالى	٢٧
قول الفرق الضالة في أسماء الله وصفاته مع الرد عليها	٣٠
٢ - الإيمان بالملائكة	٣٣
اعتقاد مشركي العرب فيهم قبل الإسلام	٣٣
الإيمان بهم	٣٤
ما يتضمنه الإيمان بالملائكة	٣٤
علاقتهم بالبشر	٣٥
ثمرات الإيمان بالملائكة	٣٦
٣- الإيمان بالكتب	٣٧
أدلة الإيمان بالكتب	٣٧
ما يتضمنه الإيمان بالكتب	٣٨
الكتب الموجودة لدى أهل الكتاب	٣٩
القرآن الكريم	٤٢
مراحل التحدي بالقرآن	٤٥

الموضوع	رقم الصفحة
أوجه الإعجاز في القرآن	٤٦
٤- الإيمان بالرسل	٤٧
النبوة منحة إلهية	٤٧
صفات الرسل ومعجزاتهم	٤٨
الإيمان بالرسل جميعاً	٥٠
الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا	٥٣
الإسرء و المعراج	٥٥
الفصل الدراسي الثاني	٥٧
٥- الإيمان باليوم الآخر	٥٨
عذاب القبر ونعيمه	٥٩
القيامة وعلاماتها	٦٣
البعث -الرد على منكري البعث	٦٧
الحشر	٧٠
الحساب	٧١
الحوض	٧٥
الميزان	٧٦
الصراط	٧٧
الشفاعة	٧٨
الجنة والنار	٨٣
٦- الإيمان بالقدر	٨٥
مراتب الإيمان بالقدر	٨٦
التحذير من الخوض في القدر	٩٠
مذهب السلف في القدر	٩٢
حكم الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به	٩٢
حكم الاحتجاج بالقدر عند المصائب	٩٤





الفصل الدراسي الأول



معنى الإيمان



معنى الإيمان في اللغة والشرع:

لغـةً: التصديق المستلزم للقبول والإذعان.
وشرعا: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

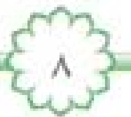
الأعمال داخلة في مسمى الإيمان دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف.
قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ الآية [1] أي صلاتكم وأنتم متجهون لبيت المقدس قبل أن تؤمروا بالتوجه إلى الكعبة.
وقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى [2] عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» [3]
وحكى الإمام الشافعي - رحمه الله- إجماع الصحابة والتابعين و من بعدهم ممن أدركهم على ذلك.

زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وعلى ذلك أدلة كثيرة، منها:
١ - قول الله - تعالى - : ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ (الآية) [4]

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٣) (٢) إماطة الأذى: تنحيته وإبعاده.
(٣) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ج١ ص٦٣ .
(٤) سورة المدثر: آية (٣١).



٢ - قول الله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [١]

٣ - ما روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، و ذلك أضعف الإيمان» [٢]

ففي هذا الحديث بيان مراتب تغيير المنكر وكونها من الإيمان، وأن أدنى مرتبة من مراتب التغيير مرتبة تغيير المنكر بالقلب وهي أضعف الإيمان؛ فما سبقها من المراتب أقوى إيماناً، والله أعلم.

٤ - وحديث الشُعَب الذي سبق.

ففيه أن الإيمان شعب متعددة ومتفاوتة في الفضل، فمنها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً كالشهادتين ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعاً كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبحسب أنواع هذه الشعب وكثرة ما يتحلى به المؤمن منها و قوة تمثله بها تكون زيادة إيمانه، وبنقص ذلك يكون نقصه، و هذا وجه الاستشهاد من الحديث.

- وإذا ثبت زيادة الإيمان ونقصه فإن أهل الإيمان يتفاضلون فمنهم كامل الإيمان، ومنهم من هو دون ذلك، ومنهم من هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته [ناقص الإيمان لأجل معصيته].

أما من أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان فإنه يعتقد أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأن الناس متساوون في إيمانهم، فإيمان أفسق الناس كإيمان الصحابة - رضي الله عنهم - وهذا من أبطل الباطل لمخالفة الكتاب والسنة والعقل الصحيح، وفيه دليل على بطلان إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، لأنه يترتب على ذلك هذه اللوازم الباطلة.

---

(١) سورة الأنفال آية (٢-٤).

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ج١ ص ٦٩ .

●● للاستزادة انظر:

١ - الإيمان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٢ - الإيمان لابن أبي شيبة رحمه الله.

٣ - الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله.

٤ - الإيمان للحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني رحمه الله

٥ - الإيمان حقيقته، و علاماته، و ثمراته لعبد الله المطلق.

٦ - الإيمان، أركانه حقيقته، نواقضه لمحمد نعيم ياسين.

أسئلة

س١: عرف الإيمان لغة واصطلاحاً.

س٢: هل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؟ اذكر الدليل على ما تقول.

س٣: ما اللوازم الباطلة التي تترتب على إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان؟

س٤: اذكر بعض أدلة السلف على زيادة الإيمان ونقصه.

س٥: ما وجه الاستدلال على زيادة الإيمان ونقصه من النصوص التالية؟

١ - قول الرسول ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق و الحياء شعبة من الإيمان».

٢ - قول الرسول: ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده... الحديث».

الإسلامُ و الإيمانُ

في الإسلام و الإيمان يجتمع الدين كله، فإذا ذُكرا جميعاً فُسِّر الإسلامُ بالأمور الظاهرة من الأعمال وفُسِّر الإيمان بالأمور الباطنة من الاعتقاد كما في حديث جبريل - عليه السلام - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. قال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» قال: فأخبرني عن الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أماراتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» قال: ثم انطلق فلبثت مَلِياً ثم قال لي: «ياعمر! أتدري من السائل» قالت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[(١)].

وإذا افترقا، فُسِّر أحدهما بما يُفسَّر به الآخر فقد فَسَّر الرسول ﷺ الإيمان لوفد عبد القيس بما فسر به الإسلام في حديث جبريل - عليه السلام - كما أخبر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ أمرهم بالإيمان بالله وحده، ثم قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان... الحديث»[(٢)] وكما في حديث شعب الإيمان وقوله: «أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» مع ما بينهما

(١) صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان والإسلام... إلخ الحديث الأول في كتاب الإيمان ج١ ص ٣٦-٣٨ .
(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان.

من أعمال ظاهرة وباطنة، وينبغي التنبه إلى أن الأعمال الظاهرة لا تسمى إسلاماً إلا بوجود أصل التصديق والإيمان.

وهما واجبان فلا ينال أحدٌ رضوان الله - تعالى - ولا ينجو من عقابه إلا بالانقياد الظاهر مع يقين القلب فلا يصح التفريق بينهما.

ولا يستكمل الإنسان الإيمان والإسلام الواجبين عليه إلا بامتثال الأوامر والابتعاد عن النواهي، كما لا يلزم من الكمال بلوغ الغاية لاختلاف الدرجات في زيادة الأعمال من النوافل وزيادة التصديق. والله أعلم.

أسئلة

س١: في أي شيء يجتمع الدين؟ وما الدليل على ذلك؟

س٢: ما معنى الإسلام مع ذكر الأدلة؟

س٣: متى يكون معنى الإسلام و الإيمان واحداً؟ ومتى يختلف أحدهما عن الآخر؟

س٤: ما معنى الإيمان مع الدليل على ذلك؟

س٥: هل يطلق على الأعمال الظاهرة إيماناً وكيف ذلك؟

س٦: متى يستكمل الإنسان الإيمان والإسلام الواجبين عليه؟

●● للاستزادة حول الفرق بين الإيمان والإسلام انظر:

١ - الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٢ - تفسير ابن كثير - رحمه الله - لسورة الحجرات.



أركان الإيمان وشعبه

أركان الإيمان:

الأركان: جمع ركن، وركن الشيء جانبه الأقوى.

وأركان الإيمان ستة هي:

١ - الإيمان بالله تعالى.
٢ - الإيمان بالملائكة.
٣ - الإيمان بالكتب.
٤ - الإيمان بالرسل.
٥ - الإيمان باليوم الآخر.
٦ - الإيمان بالقدر خيره و شره.

والدليل على هذا جواب الرسول ﷺ حين سأله جبريل - عليه السلام - عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» [1]

شعب الإيمان:

الشعب: جمع شبعة، والشعبة الخصلة والجزء، وشعب الإيمان خصاله المتعددة وهي كثيرة، فقد جاء في الحديث أنها بضع وسبعون شعبة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان [2] بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» [3]

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان...١/ ٣٧.
(٢) والبضع في العدد: من الثلاث إلى التسع.
(٣) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ١/ ٦٣.
** حول شعب الإيمان انظر:
١ - الجامع لشعب الإيمان للبيهقي.
٢ - مختصر شعب الإيمان للبيهقي لأبي المعالي القزويني.
بالإضافة إلى الكتب المؤلفة عن الإيمان وقد مر بعضها.

وقد بين الرسول ﷺ أن أفضل هذه الخصال التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته، وأدناها إزالة ما يتوقع ضرره بالمسلمين، وإماطة الأذى عن طريقهم، وبين هذين الطرفين أعداد من الشعب، كحب الرسول ﷺ وحب المرء لأخيه كما يحب لنفسه، والجهاد وغير ذلك كثير، ولم يرد التصريح بخصال الإيمان كلها.. فاجتهد العلماء في عدها كما فعل البيهقي في الجامع لشعب الإيمان وغيره.

وشعب الإيمان المتعددة بعضها دعائم وأصول يزول الإيمان بزوالها مثل إنكار الإيمان باليوم الآخر، قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) ﴾ (١).

وبعضها فروع لا يزول الإيمان بزوالها، وإن كان يوجب تركها نقصاً في الإيمان أو فسقاً، مثل: عدم إكرام الجار، عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». (٢)

وقد يجتمع في الإنسان شعب إيمان، وشعب نفاق، فيستحق بشعب النفاق العذاب ولا يخلد في النار لما في قلبه من الإيمان. والله أعلم.



أسئلة

س١: ما المراد بالشعب؟ وما الفرق بين شعب الإيمان وأركانه؟

س٢: ما أركان الإيمان؟ مع الاستدلال على ذلك.

س٣: ما معنى البضع؟ وهل أركان الإيمان و شعبه على حدٍّ سواء في الاعتقاد والعمل؟

س٤: هل يجتمع في شخص إيمان ونفاق؟

---

(١) التغابن آية (٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت واللفظ لمسلم.



نواقض الإيمان

يقصد بنواقض الإيمان ما يذهبه بعد الدخول فيه:

ومنها:

١- إنكار الربوبية أو شيء من خصائصها، أو ادعاء شيء منها أو تصديق المدعي لذلك، يقول الله تعالى:

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

٢ - الاستنكاف، والاستكبار عن عبادة الله - تعالى - قال الله تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ (٢)

٣ - الشرك في عبادة الله، بأن يصرف شيئاً من العبادة لغير الله، أو يتخذ وسائط وشفعاء يدعوهم من دون الله ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٣).

ويقول الله تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الجاثية: آية (٢٤)

(٢) سورة النساء: الآيتان (١٧٢-١٧٣).

(٣) سورة يونس: آية (١٨).

(٤) سوة الرعد: آية (١٤).

٤ - جحد شيء مما أثبته الله - تعالى - لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ وكذلك من يجعل لمخلوق شيئاً من الصفات الخاصة بالله كعلم الله وأيضاً إثبات شيء نفاه الله - تعالى - عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ يقول الله - تعالى - مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ (١)

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) ﴾ (٢)

ويقول الله - تعالى - : ﴿ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ (٣)

٥ - تكذب الرسول ﷺ في شيء مما جاء به، يقول تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦) ﴾ (٤)

٦ - اعتقاد عدم كمال هدي الرسول ﷺ أو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي عليه، أو اعتقاد أن حكم غيره أحسن منه أو أتم أو أشمل لحاجة البشر، أو اعتقاد مساواة حكم غير الله - تعالى - لحكم الله ورسوله، أو اعتقاد جواز الحكم بغير ما أنزل الله - تعالى - وإن اعتقد أن حكم الله أفضل يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (٥)

ويقول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٦).

---

(١) سورة الإخلاص: الآيات (١-٤).
(٢) سورة الأعراف: آية (١٨٠).
(٣) سورة مريم: آية (٦٥).
(٤) سورة فاطر: الآيتان (٢٥-٢٦)
(٥) سورة النساء: آية (٦٠)
(٦) سورة النساء: آية (٦٥).

ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[1]

٧ - عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم، لأن هذا شك فيما جاء به الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[2]

٨ - الاستهزاء بالله تعالى، أو بالقرآن الكريم، أو بالدين، أو بالثواب والعقاب أو نحو ذلك، أو الاستهزاء بالرسول ﷺ أو بأحد من الأنبياء، سواء أكان ذلك مزحاً أم جدًا، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[3]

٩ - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين مالم يكن عن تأول أو جهل أو إكراه، يقول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[4].

١٠ - اعتقاد أنه يسع أحداً الخروج عن هدي محمد ﷺ ولا يجب عليه اتباعه، يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[5].

١١ - الإعراض الكلي عن دين الله - تعالى - أو عما لا يصح الإسلام إلا به لا يتعلمه ولا يعمل به يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[6].

١٢ - من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ، ولو عمل به، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[7].

١٣ - فعل السحر - ومنه الصَّرْف والعَطْف - أو الرضى به، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[8]

---

(١) سورة المائدة: آية (٤٤).
(٢) سورة إبرهيم: اية (٩).
(٣) سورة التوبة: الآيتان (٦٥-٦٦).
(٤) سورة المائدة: آية (٥١).
(٥) سورة آل عمران: آية (٨٥).
(٦) سورة السجدة: آية (٢٢).
(٧) سورة محمد: آية (٩).
(٨) سورة البقرة: آية (١٠٢).

هذه من أبرز النواقض وهناك نواقض كثيرة ترجع في جملتها إلى بعض ما ذُكر، من ذلك: جحود القرآن أو شيء منه، أو الشك في إعجازه، أو امتهان المصحف أو جزء منه، أو تحليل شيء مجمع على تحريمه كالزنا وشرب الخمر، أو الطعن في الدين أو سبه أو ترك الصلاة، نعوذ بالله من الضلال.. والله أعلم.



أسئلة

س١: ما الدليل على أن إنكار الربوبية ناقض للإيمان؟

س٢: ما الفرق بين إنكار الربوبية، وإنكار استحقاقه - تعالى - للعبادة؟

س٣: ما حكم اتخاذ الوسائط و الشفعاء في عبادة الله تعالى؟

س٤: هل يصح التحاكم إلى غير شرع الله وما الدليل؟

س٥: بين حكم الأمور التالية مع الاستدلال:

١ - الاستهزاء الله، أو بالقرآن، أو الرسول ﷺ مازحاً، مع الاستدلال على ما تقول.

٢ - اعتقاد أنه يسع أحداً الخروج عن هدي محمد ﷺ.

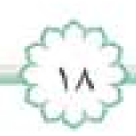
٣ - اعتقاد سقوط التكاليف أو بعضها عن أحد من الناس.

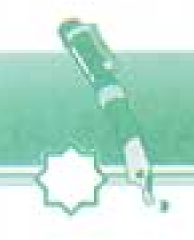
س٦: مثل على نواقض الإيمان العملية.

** انظر حول ذلك:

١- شرح نواقض الإسلام للشيخ صالح الفوزان.

٢- شرح نواقض الإسلام لمحمد بن إبراهيم الشيباني.





حكم مرتكب الكبيرة

تنقسم الذنوب إلى كبائر وصغائر :

فالكبيرة:

هي كل ذنب ترتب عليه حَدٌّ في الدنيا أو توعد الله عليه بنار أو لعن أو غضب، ومثال الكبيرة ما ذكر في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: و ما هن؟ قال : الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1]

والصغيرة:

هي كل ذنب ليس فيه حَدٌّ في الدنيا ولا وعيدٌ خاص في الآخرة.

ومثال الصغيرة، ما روى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال:«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج و يكذبه»[2] ويدل على تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر قول الله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) ﴾[3] وقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[4]

---

(١) متفق عليه – مسلم كتاب الإيمان باب الكبائر وأكبرها ج٩٨ ص٩٢، البخاري – كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ الآية.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب قُدِّرَ على ابن آدم حظه من الزنى وغيره ج٤ ص ٢٠٤٧ ح (٢٦٥٧).

(٣) سورة النساء آية (٣١).

(٤) سورة النجم آية (٣٢).

مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة :

مرتكب الكبيرة لا يكفر بها إذا كان من أهل التوحيد والإخلاص، بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته تحت مشيئة الله - تعالى - إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه في النار على ما كان من العمل ثم يخرجه منها فلا يخلده فيها، خلافاً لغلاة الفرق الضالة في ذلك وهم:

(١) المرجئة: وهم القائلون: بأنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وعلى قولهم يكون إيمان أفسق الناس كإيمان أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وتصور هذا كافٍ في بطلانه.

(٢) المعتزلة: وهم الذين يقولون بأن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، وإذا خرج من الدنيا من غير توبة فهو من المخلدين في النار .

(٣) الخوارج: وهم القائلون: بأن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار .

وقول المرجئة والخوارج والمعتزلة مخالف لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

أدلة أهل السنة:

استدل أهل السنة بأدلة كثيرة جداً من الكتاب الكريم ومن السنة المطهرة، منها:

١ - قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١]

وجه الاستدلال: تدل الآية على أن ما دون الشرك تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذّب فاعله، فدل على عدم كفره بفعل ما دون الشرك.

٢ - قول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ ﴾[٢]

---

(١) سورة النساء: الآية (٤٨).

(٢) سورة الحجرات : الآيتان: (٩-١٠).



وجه الاستدلال: أثبت الله تعالى الإيمان لمرتكبي معصية الاقتتال من المؤمنين، والباغي من بعض الطوائف على بعض وهي من الكبائر، و جعلهم إخوة وأمر - تعالى - المؤمنين بالإصلاح بين إخوتهم في الإيمان.

٣ - روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «يُدْخِلُ اللهُ أهلَ الجنة الجنة، يُدْخِلُ من يشاء برحمته، ويُدْخِلُ أهل النار النارَ. ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه. فيخرجون منها حُمَماً قد امتُحِشُوا [١] فيلقون في نهر الحياة، أو الحيا [٢] فينبتون فيه كما تنبت الحِبَّة إلى جانب السيل. ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية» [٣]

وجه الاستدلال في الحديث: عدم تخليد أصحاب الذنوب في النار حيث يخرج منها من كان في قلبه أدنى إيمان، ولا يكون الإيمان بهذا القدر إلا بالمعاصي فعلاً للمنهيات أو تركًا للواجبات.

كما يدل الحديث وما في معناه من الأدلة على أن الإيمان ينقص حتى يكون قدر مثقال حبة من خردل، وهذا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص وأن الناس في الإيمان متفاوتون.

---

(١) امتحشوا بمعنى احترقوا.

(٢) المراد بالحيا: المطر، سمي بذلك لأن الأرض تحيا به.

(٣) صحيح الإمام مسلم - كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار: ج١ ص ١٧٢ وانظر : صحيح البخاري: ٤/١٥٨ - ١٦١ .

** انظر:

١ - الكبائر للحافظ الذهبي رحمه الله.

٢ -الكبائر لشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٣ - الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيثمي رحمه الله.

أسئلة

س١: عرف كُلًا من الكبيرة، والصغيرة مع التمثيل والاستدلال.

س٢: ما مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة؟

س٣: أكمل ما يأتي:

المرجئة يقولون: إنه لا يضر...

والمعتزلة يقولون: إن مرتكب الكبيرة...

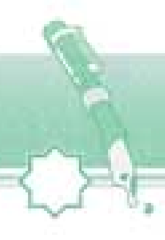
والخوارج يقولون: إن مرتكب الكبيرة....

س٤: صحح العبارات التالية:

(أ) يقول المعتزلة والخوارج: أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

(ب) يكون إيمان الفاسق عند المرجئة كإيمان أبي بكر وعمر.

(ج) مرتكب الكبيرة إذا مات من غير توبة فهو مخلد في النار.



أثر المعصية على الإيمان

المعصية :

هي خلاف الطاعة سواء كان تركاً لأمر، أو ارتكاباً لنهي.

والإيمان كما سبق معرفة ذلك؛ بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. فليست شُعَبهُ على حد سواء عظماً وقدراً، وعلى هذا تختلف المعصية التي هي الخروج عن الطاعة.

فقد تكون ناقضة للإيمان كما أخبر الله تعالى عنه فرعون بقوله: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[1]

وقد تكون دون ذلك فلا يحصل بها خروج من الإيمان ولكنها تقدح في ذلك بالنقص والتشويه، فمن أتى الكبائر كالزنا والسرقة وشرب الخمر و نحو ذلك غير معتقد حلّها ذهب ما في قلبه من الخشية والخشوع والنور، وإن بقي أصل التصديق في قلبه فإن أناب إلى الله – تعالى – وعمل الصالحات رجع إلى قلبه نوره وخشيته، وإن تمادى في المعاصي زاد الرين[2] على قلبه إلى أن يختم عليه والعياذ بالله فيصبح لا يعرف معروفاً و لا ينكر منكراً.

روى الإمام أحمد رحمه الله وغيره عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكر الله – عز وجل – في القرآن: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[3]»[4]

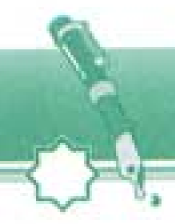
---

(١) سورة النازعات: آية (٢١)

(٢) الرين: الطبع والدنس.

(٣) سورة المطففين: آية (١٤).

(٤) مسند الإمام أحمد: ٢/ ١٨٧ . وانظر المسند بتحقيق أحمد شاكر حديث ٧٩٣٩ .



الإيمان بالغيب

مفهومه وأثره في عقيدة المسلم :

أولاً: الإيمان بالغيب:

الغيب مصدر يستعمل في كل غائب عن الحاسة، عُلِم أو لم يُعْلَم، والإيمان بالغيب، أي بما لا يقع تحت الحواس، ولا يدرك ببداهة العقول، إنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والإيمان بالغيب من صفات المؤمن كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ (١)

وقيل في معنى إيمانهم رأيان:

(أ) أنهم يؤمنون بما كان غائباً عن الحاسة، مما جاء الخبر به عن الله تعالى وعن رسله - عليهم الصلاة والسلام -.

(ب) أنهم يؤمنون بالله - تعالى - حال غيبتهم عنكم كما يؤمنون به حال الحضور بخلاف المنافقين.

ولا منافاة بين المعنيين فلابد من الأمرين في المؤمن.

ثانياً: أثر الإيمان بالغيب في عقيدة المسلم:

للإيمان بالغيب آثار كبيرة جدا تنعكس على سلوك الإنسان، وسيرته في الحياة فهي دافع قوي لأعمال الخير و مكافحة الشر، منها:

(أ) الإخلاص في العمل: فإن المؤمن بالله وثوابه وعقابه سيمتثل أوامر الله، ويحذر من نواهيه رغبة في الثواب، وخوفاً من العقاب في الآخرة، لا طمعاً في الجزاء والشكر الدنيوي من الناس كما أخبر الله

---

(١) سورة البقرة: الآيات (١-٣)

-تعالى - عن عباده المطعمين الطعام مع حبهم له بقوله عنهم: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [1]

(ب) **القوة في الحق** - ما وعد به أهل الإيمان يجعل المرء يسير في امتثال أوامر الله - تعالى - وبيان الحق والدعوة إليه وبيان الباطل والتحذير منه ومحاربته، وإن عَدِم المُعينَ فهو قويٌّ بالله - تعالى - تهون عليه الحياة الدنيا وعذابها بجانب الحياة الآخرة، وقد أخبر الله - تعالى - عن خليله إبراهيم - عليه السلام - قوله لقومه: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [2]

وكما أخبر عن سحرة فرعون لما آمنوا كيف استهانوا بتعذيب فرعون لهم وقالوا فيما أخبر الله - تعالى - عنهم: ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [3]

(ج) **احتقار المظاهر الدنيوية** - وهذا يكون نتيجة عمران القلب بالإيمان بزوال الدنيا وملذاتها، وأن الحياة الآخرة هي حياة البقاء والسعادة وليس من العقل إيثار الفاني على الباقي، يقول تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [4]

وأخبر - سبحانه وتعالى - عن امرأة فرعون التي استهانت بما هي فيه من متاع الحياة الدنيا، وطلبت النجاة من فرعون وعمله ابتغاء الدار الآخرة لما استنار قلبها بنور الإيمان بالله - تعالى - والدار الآخرة بقوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [5]

---

(1) سورة الإنسان: الآيتان: (٨-٩).
(2) سورة الأنبياء: الآيتان (٥٧-٥٨).
(3) سورة الأعراف: الآيتان: (١٢٥-١٢٦).
(4) سورة العنكبوت: آية (٦٤).
(5) سورة التحريم آية (١١).

(د) ذهاب الغلّ والأحقاد - إن السعي لتحقيق رغبات النفوس بغير طرقها الصحيحة يورث الغل والأحقاد بين الناس، والإيمان بالغيب من وعد الله - تعالى - ووعيده يجعل المرء محاسباً لنفسه في جميع تصرفاته في الثواب وخوفاً من العقاب، والإيمان الصادق بتحقق الثواب يجعل النفس المؤمنة مندفعة إلى الإحسان والإيثار طمعاً في الثواب الباقي، الأمر الذي تصفو معه النفوس وتسود المحبة بين الأفراد والجماعات كما أخبر الله - تعالى - عن الذين امتثلوا ذلك بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠) ﴾[1]

تلكم بعض آثار الإيمان بالغيب، ولا تتخلف إلا بضعف الإيمان، وإذا تخلفت أصبح المجتمع حيوانيًا يأكل حيه ميته، ويقهر قويه ضعيفه، فيعم الخوف وينتشر البلاء وتتخلف الفضيلة وتسود الرذيلة، أعاذنا الله من ذلك.



أسئلة



س١: ما المعصية؟ ومتى تكون مخرجة من الدين؟

س٢: ما أثر المعصية على الإيمان؟

س٣: ما معنى الإيمان بالغيب، وما تفسير قول الله - تعالى -: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾؟

س٤: ما أثر الإيمان بالغيب في عقيدة المسلم؟

س٥: لماذا رغبت امرأة فرعون عمّا بين يديها من متع الحياة وطلبت النجاة من فرعون وعمله؟

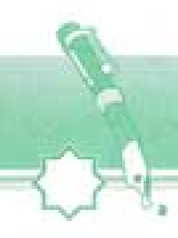
س٦: كيف يكون الإيمان بالغيب سببًا لانتشار المحبة في المجتمع؟

---

(١) سورة الحشر: الآيتان: (٩، ١٠).

** انظر حول الغيب:

١ - علم الغيب والشهادة لعثمان جمعة ضميرية.



١ - الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله هو: الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له.

وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، وأنه سبحانه متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال منزه عن كل نقص وعيب.

وهذا هو التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

١ - توحيد الربوبية :

هو إفراد الله - عز وجل - بالخَلْق والملك والتدبير.

فإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(٢)

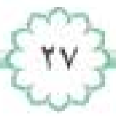
وأما إفراده بالملك فأن نعتقد أنه لا يملك الخلق إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٤)

وأما إفراد الله بالتدبير فهو أن يعتقد الإنسان أنه لا مدبر إلا الله وحده، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾(٥).

---

(١) سورة الأعراف: آية (٥٤).
(٢) سورة فاطر: آية (٣).
(٣) سورة الفتح: آية (١٤).
(٤) سورة المؤمنون: آية (٨٨)
(٥) سورة يونس: آية (٣١).



وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول ﷺ بل كانوا مقرين به، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[1].

ولم ينكره أحد معلوم من بني آدم إلا ما كان من فرعون فإنه أنكره.

قال تعالى حكاية عنه: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾[2].

وأنكر المجوس توحيد الربوبية على سبيل التشريك حيث قالوا: إن للعالم خالقين هما الظلمة والنور وإن جعلوا النور خيراً من الظلمة.

٢- توحيد الألوهية :

ويقال له توحيد العبادة؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى توحيد الألوهية وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة وهو: إفراد الله - عز وجل - بالعبادة. فالمستحق للعبادة هو الله تعالى، وكل معبود سواه فعبادته باطلة. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾[4].

وهذا القسم كفر به وجحده الخلق عامة، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب قال تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[5].

٣- توحيد الأسماء والصفات :

هو الإيمان بأسماء الله وصفاته كما جاءت في القرآن العظيم، وسنة النبي ﷺ على ما يليق بالله سبحانه، وذلك بإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

---

(١) سورة الزخرف: آية (٩).
(٢) سورة النازعات: آية (٢٤).
(٣) سورة لقمان: آية (٣٠).
(٤) سورة الإسراء: آية (٢٢).
(٥) سورة الأنبياء: آية (٢٥).

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

وهذا النوع من أنواع التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الطوائف، وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة.

أسئلة

س١: ما مقتضى بالإيمان بالله تعالى؟

س٢: مالمراد بتوحيد الربوبية؟ وما الفرق بينه وبين توحيد الألوهية؟

س٣: هل أنكر أحد من الناس توحيد الربوبية؟ وضح ذلك.

س٤: ما معنى الإيمان بأسماء الله وصفاته؟

---

(١) سورة الشورى: آية (١١).

** انظر حول الإيمان بالله ١ - الإيمان بالله د. عمر بن سليمان الأشقر.

٢ - الكتب التي تحدثت عن الإيمان وأركانه.



المنحرفون عن منهج السلف في أسماء الله وصفاته طائفتان: المشبهة والمعطلة.

المشبهة: [1] شبهوا الله بخلقه، جعلوا صفاته من جنس صفات المخلوقين، ولذلك سمو بالمشبهة.

المعطلة: نفوا عن الله ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال زاعمين أن إثباتها يقتضي تشبيه الله بخلقه فهم على طرفي نقيض مع المشبهة وهم في هذا التعطيل متفاوتون:

(أ) فالجهمية[2]: ينفون الأسماء والصفات.

(ب) والمعتزلة [3]: يثبتون الأسماء مجردة عن معانيها وينفون الصفات.

(جـ) والأشاعرة [4] والماتريدية [5]: يثبتون الأسماء و بعض الصفات وينفون البعض الآخر.

والشبهة التي بنى عليها المعطلة مذاهبهم أن المخلوقين يسمون ويوصفون ببعض تلك الأسماء والصفات، فليزم من الاشتراك في لفظ الاسم والصفة ومعناهما الاشترك في حقيقتهما وهذا يلزم منه تشبيه المخلوق بالخالق في نظرهم.

ولذا رأوا أنه لابد من نفيها وتعطيلها تنزيهاً لله عن التشبيه ووقفوا من النصوص الدالة على إثباتها أحد موقفين:

١ - **طريقة التأويل:** أي تأويل النصوص الواردة فيها عن ظاهرها، كتأويل اليد بالنعمة والاستواء بالاستيلاء.

---

(١) من المشبهة مقاتل بن سليمان، ومنهم الهشامية المنسوبة إلى هشام الجواليقي وغيرهم.

(٢) الجهمية أتباع الجهم بن صفوان من أشد الفرق المنحرفة غلوا في نفي أسماء الله وصفاته.

(٣) المعتزلة أتباع و اصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري رحمه الله.

(٤) الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري قبل رجوعه إلى مذهب أهل السنة ولم يرجعوا عما رجع عنه.

(٥) الماتريديه أتباع أبي منصور الماتريدي وهم فرقة كالأشاعرة ولكنهم أقرب إلى المعتزلة فهم بين الأشاعرة والمعتزلة.

٢ - **طريقة التفويض**: أي تفويض معاني هذه النصوص إلى الله - عز وجل - ، فيقولون: الله أعلم بمراده منها ، مع اعتقاد أنها ليست على ظاهرها - أي مع نفي دلالتها على شيء من الصفات-.

والرد عليهم من وجوه :

١ - أن الله سبحانه وتعالى نفى في كتابه مشابهته لخلقه فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الآية [١] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [٢] وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [٣]

ومن شبه صفات الله بصفات خلقه لم يكن عابدا لله على الحقيقة وإنما يعبد وثناً صَوَّره له خياله، فهو من عباد الأوثان، وهو مشابه أيضاً للنصارى الذين يعبدون المسيح بن مريم.

قال نعيم بن حماد شيخ البخاري - رحمهما الله - : من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفي ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه [٤] وهذا رد على المشبهة.

٢ - أن هذه الصفات جاءت بإثباتها نصوص الكتاب والسنة المتواترة، ونحن مأمورون باتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [٥].

وقال النبي ﷺ : «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» [٦].

والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [٧].

فمن نفاها فقد نفى ما أثبته الله ورسوله وحاد الله ورسوله.

---

(١) سورة الشورى آية ١١. (٢) سورة مريم: آية ٦٥. (٣) سورة الإخلاص: آية (٤)

(٤) العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي - رحمه الله .

(٥) سورة الأعراف: آية ٣ .

(٦) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، وانظر سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ج٤ ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، و قد صححه كثير من الأئمة.

(٧) سورة الحشر: آية (٧)

٣ - أنه يلزم من نفي الصفات؛ نفي وجود الله تعالى؛ لأنه لا توجد ذات مجردة عن الصفات، بل كل موجود لابد له من صفات، ولا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات، وإنما الذي ليس له صفات هو المعدوم، فمن نفى عن الله الصفات التي أثبتها لنفسه كان معطلاً جاحداً مشبها لله بالمعدومات، نافياً لوجوده باللزوم.

٤ - لا يلزم من اتفاق أسماء الله وصفاته مع أسماء المخلوقين وصفاتهم في الاسم والمعنى اتفاقهما وتماثلهما في الحقيقة والكيفية، فلله صفات تخصه وتليق به وللمخلوق صفات تخصه وتليق به، وهذا لا يلزم حتى في المخلوقات، فإذا قيل إن العرش شيء موجود وأن البعوض شيء موجود؛ لم يلزم من اشتراكهما في الشيء والوجود تماثلهما في الحقيقة والكيفية، وإذا كان هذا في المخلوقات بعضهما مع بعض ، ففي حق الخالق مع خلقه من باب أولى.

٥ - كما أن لله ذاتاً لا تشبهها ذوات المخلوقين فكذلك له صفات لا تشبهها صفات المخلوقين، فإن القول في الصفات كالقول في الذات من حيث الثبوت ونفي المماثلة وعدم العلم بالكيفية، وهذا رد على الجهمية و المعتزلة.

٦ - القول في بعض الصفات كالقول في بعضهما الآخر من حيث الثبوت ونفي المماثلة وعدم العلم بالكيفية، وهذا رد على الأشاعرة والماتريدية حيث فرقوا بين المتماثلات.

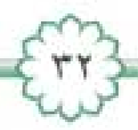
أسئلة

س١ : هناك طوائف انحرفت عن نهج السلف في أسماء الله وصفاته اذكر هذه الطوائف مع بيان ضلال كل طائفة.

س٢: ما المقصود بالتأويل والتفويض؟

س٣: اذكر خمسة من الردود على الطوائف المنحرفة عن منهج السلف في أسماء الله وصفاته.

س٤: اذكر ثلاثة ردود على الأشاعرة - من خلال ما درسته.





٢ - الإيمان بالملائكة

تعريفهم :

لغةً: الملائكة جمع ملَك، بفتح اللام، قيل إنه مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وقيل من لأك إذا أرسل، وقيل غير ذلك.

واصطلاحًا :

عالم غيبي مخلوقون من نور عابدون لله تعالى.

وليس للملائكة من خصائص الربوبية والألوهية شيء وقد منحهم الله تعالى الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه، قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ (٢٠) ﴾[1] وقال عنهم: ﴿ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ (٢٦) لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ (٢٧) ﴾[2].

اعتقاد مشركي العرب فيهم قبل الإسلام :

وقد كان أهل الجاهلية يزعمون أنهم بنات الله - تعالى الله عما يقولون - وقد رد الله - تعالى - عليهم هذا، وبين عدم علمهم بذلك بقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ (١٩) ﴾[3] وبقوله ﴿ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ (١٥٠) أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ (١٥٣) ﴾[4]

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان (١٩ ، ٢٠).

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان (٢٦ ، ٢٧).

(٣) سورة الزخرف: آية (١٩).

(٤) سورة الصافات: الآيات (١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣).

** حول الإيمان بالملائكة: انظر عالم الملائكة الأبرار، د. عمر بن سليمان الأشقر.

الإيمان بهم :

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، ومعنى ذلك التصديق الجازم بأن لله - تعالى - ملائكة موجودين مخلوقين من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أدلة وجوب الإيمان بهم :

(أ) قول الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [1]

فجعل - تبارك وتعالى - هذا الإيمان من عقيدة المؤمن.

(ب) قول الله - تعالى - : ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [2].

وأوجب سبحانه وتعالى - الإيمان بهذه الأمور وكفر من جحدها بقوله: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [3].

(جـ) قول الرسول ﷺ جواباً لجبريل حينما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» [4].

فجعل ﷺ الإيمان: هو الإيمان بجملة ما ذكر، و الإيمان بالملائكة بعض ذلك، فوجودهم ثابت بالدليل القطعي، وإنكارهم كفر بإجماع المسلمين؛ لأن عدم الإيمان بهم تكذيب لصريح ا لقرآن والسنة.

ما يتضمنه الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٨٥).

(٢) سورة البقرة: آية (١٧٧).

(٣) سورة النساء: آية (١٣٦).

(٤) صحيح الإمام مسلم ١/ ٣٧ وانظر صحيح البخاري (١/ ١٩ ، ٢٠) وتقدم تخريجه.

١ - الإيمان بوجودهم.

٢ - الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كجبريل ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

٣ - الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق [١] وقد يتحول الملك إلى هيئة رجل كما حصل لجبريل في حديث السؤال عن الإيمان والإسلام السابق.

٤ - الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها من أمر الله كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً، فإن الملائكة مجبولون على طاعة الله ليس لديهم القدرة على العصيان ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٢] فتركهم للمعصية وفعلهم للطاعة جِبِلّة لا يكلفهم أدنى مجاهدة لأنهم لا شهوة لهم. [٣]

علاقتهم بالبشر:

وكَّل الله - سبحانه وتعالى - الملائكة بأصناف المخلوقات ومنها الإنسان، فلهم علاقة وثيقة به من حين كونه نطفة، ذكر هذه العلاقة الإمام ابن القيم- رحمه الله- في كتابه (إغاثة اللهفان) قال: (فإنهم موكلون بتخليقه - أي الإنسان - ونقله من طور إلى طور، وتصويره، وحفظه في أطباق الظلمات الثلاث، وكتابة رزقه وعمله، وأجله وشقاوته وسعادته، وملازمته في جميع أحواله، وإحصاء أقواله وأفعاله، وحفظه في حياته، وقبض روحه عند وفاته، وعرضها على خالقه وفاطره وهم الموكلون بعذابه ونعيمه في البرزخ و بعد البعث، وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب.

وللملائكة علاقة بالمؤمنين فهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله، و المعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذابون عنه، وهم أولياؤه في الدنيا والآخرة وهم الذين يعدونه بالخير، ويدعونه إليه، وينهونه عن الشر ويحذرونه منه،

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب ذكر سدرة المنتهى حديث ١٧٤ ج١ ص ١٥٨ وباب معنى قول الله - عز وجل : ولقد رآه نزلة أخرى حديث ٢٨٧ ج١ ص ١٥٩.

(٢) سورة التحريم آية (٦).

(٣) انظر نبذة في العقيدة الإسلامية للشيخ محمد بن عثيمين ص (١٩).

فهم أولياؤه وأنصاره، وحفظته ومعلموه، وناصحوه، والداعون له، والمستغفرون له، وهم الذين يصلون عليه مادام في طاعة ربه، ويصلون عليهن مادام يُعَلِّم الناس الخير، ويبشرونه بكرامة الله - تعالى - في منامه، وعند موته، ويوم بعثه، وهم الذين يزهدونه في الدنيا، ويرغبونه في الآخرة، وهم الذين يذكرونه إذا نسي، وينشطونه إذا كسل، ويثبتونه إذا جزع، وهم الذين يسعون في مصالح دنياه وآخرته.

في حين أنهم لا يحبون الكفرة الظالمين المجرمين بل يعادونهم ويحاربونهم ويزلزلون قلوبهم وينزلون بهم العذاب بأمر الله ويلعنونهم فهم رسل الله في خلقه، وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر) [1] وأدلة كل ماذكر من القرآن والسنة يطول المقام بذكرها وهي معروفة مشتهرة.

ثمرات الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

١ - العلم بعظمة الله تعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

٢ - شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

٣ - محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى . [1]



أسئلة

س١ : ما المراد بالملائكة؟ وما اعتقاد أهل الجاهلية فيهم؟

س٢ : ما حكم الإيمان بالملائكة مع الاستدلال على ذلك؟

س٣: يتضمن الإيمان بالملائكة أموراً، اذكرها.

س٤ : ما علاقة الملائكة:

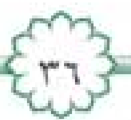
(أ) بالإنسان (ب) بالمؤمنين (جـ) بالكافرين.

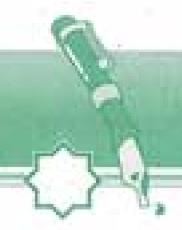
س٥ : للإيمان بالملائكة ثمرات جليلة اذكرها.

---

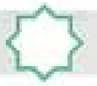
(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية ص ٢٠ .





٣- الإيمان بالكتب



الكتب :

جمع كتاب، بمعنى مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

والإيمان بكتب الله - تعالى - ركن من أركان الإيمان.

ومعناه: التصديق الجازم بأن لله - تعالى - كتباً أنزلها على رسله إلى عباده بالحق المبين، وأنها كلام الله - عز وجل - تكلم بها حقيقة كما شاء على الوجه الذي أراد.

الأدلة على وجوب الإيمان بالكتب

(أ) قول الله - تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦) ﴾ (١)

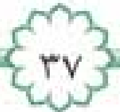
فإن الله تعالى أمر المؤمنين أن يؤمنوا به وبما أنزل عليهم بوساطة نبيهم محمد ﷺ وهو القرآن الكريم ويؤمنوا بما أنزل على النبيين من ربهم من غير تفريق بين أحد منهم انقياداً لله - تعالى - وتصديقاً لخبره.

(ب) قول الله - تعالى - : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة: آية (١٣٦).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٨٥).



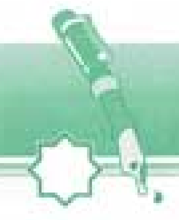
اشتملت الآية الكريمة على بيان صفة إيمان الرسول ﷺ والمؤمنين وبيان ما أمروا به من الإيمان بالله - تعالى - وبالملائكة والكتب وبالرسل من غير تفريق؛ فالكفر بالبعض كفر بهم جميعاً.

(جـ) قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦) ﴾[1].

فأمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان به وبرسوله وبالكتاب المنزل على الرسول ﷺ وهو القرآن، وبالكتب المنزلة من قبل القرآن، وقرن - سبحانه وتعالى - الكفر بالملائكة وبالكتب وبالرسل وباليوم الآخر بالكفر به تعالى.

(د) قول الرسول ﷺ في حديث جبريل حين سأله عن الإيمان «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».[2]

فجعل الرسول ﷺ الإيمان بكتب الله - تعالى - أحد أركان الإيمان.



مايتضمنه الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

١ - الإيمان بأن نزولها من عند الله.

٢ - الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن، قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾[3] و التوراة التي أنزلت على موسى - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ الآية.[4] والإنجيل الذي أنزل على عيسى - عليه السلام - قال تعالى:

---

(١) سورة النساء: آية (١٣٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سورة النحل: الآية (٨٩).

(٤) سورة المائدة: الآية (٤٤).

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [1]

والزبور الذي أوتيه داود - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [2] وصحف إبراهيم وموسى - عليهما السلام - ، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [3] ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.[4]

٣- تصديق ما صح من أخبارهم كأخبار القرآن وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

٤ - العمل بأحكام ما لم ينسخ منها والرضى والتسليم به سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [5] أي حاكماً عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي من أحكام الكتب السابقة إلا ما أقره القرآن، ولا يجوز التحاكم إلى أي منها بأي حال من الأحوال، لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ الآية. [6]

الكتب الموجودة لدى أهل الكتاب

لقد أنزل الله على رسوله كتباً حجة على العالمين ومحجة للعاملين يعلمونهم بها الحكمة ويزكونهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [7] الآية. ومن هذه الكتب التوراة والإنجيل وآخرها القرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه محمد خاتم النبيين ﷺ فنسخ به جميع الكتب السابقة وتكفل بحفظه من عبث العابثين: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [8]؛ لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، أما الكتب السابقة فإنها مؤقتة بأمد ينتهي بنزول ما ينسخها، ولهذا لم تكن معصومة من التحريف والزيادة والنقص، بل وقع ذلك فيها، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ

---

(١) سورة المائدة: الآية (٤٦).
(٢) سورة النساء: الآية (١٦٣).
(٣) سورة النجم: الآية (٣٦، ٣٧).
(٤) سورة الأعلى: الآية (١٨، ١٩).
(٥) سورة المائدة: الآية (٤٨).
(٦) سورة النساء: الآية (٥٩).
(٧) سورة الحديد: الآية (٢٥).
(٨) سورة الحجر: الآية (٩).

﴿ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾[3].

ولوجود ذلك فلا تصح معه نسبة هذه الكتب إلى الله – تعالى – ، وهناك ما يؤيد عدم صحة هذه النسبة إلى الله – تعالى – مع ما صرح به القرآن الكريم.

من ذلك ما يلي:

(أ) أن ما في أيدي أهل الكتاب من كتب يزعمون أنها مقدسة ليست نسخاً أصلية وإنما هي تراجمها.

(ب) أن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله – تعالى – بكلام غيره من المفسرين والمؤرخين، ومستنبطي الأحكام ونحو ذلك.

(حـ) عدم صحة النسبة فيها إلى الرسول الذي نسبت إليه، فليس لها سند موثوق، فالتوراة دونت بعد موسى – عليه السلام – بقرون عديدة، وأما الأناجيل فهي منسوبة إلى مؤلفيها، وقد اختيرت من أناجيل متعددة.

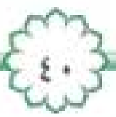
(د) تعدد نسخها وتناقضها فيما بينها مما يدل دلالة قاطعة على تحريفها.

(هـ) اشتمالها على عقائد فاسدة في تصور الخالق ووصفه بما يتضمن النقص، وكذلك وصف الرسل الكرام بما يتنزهون عنه، ولهذا فالواجب على المسلم اعتقاده أن كتب العهدين، العهد القديم والعهد الجديد[4] ليس كل ما فيها قد أنزله الله على رسله، بل هي مما كتبوه فلا نصدق منها إلاَّ ما صدقه القرآن الكريم أو السنة المطهرة، ونكذب ما كذبه القرآن و السنة، مما اشتملت عليه من الباطل، ونسكت عما لم يأتِ تصديقه أو تكذيبه لاحتماله الصدق والكذب.. والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٧٩). (٢) سورة النساء: الآية (٤٦). (٣) سورة البقرة: الآية (٧٥).

(٤) هي التوراة والإنجيل ويسميها النصارى بالعهد القديم والعهد الجديد.



أسئلة

س١: ما معنى الكتب لغةً، واصطلاحاً؟

س٢: ما حكم الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله، مع ذكر الدليل؟

س٣: ما الأمور التي يتضمنها الإيمان بالكتب؟

س٤: اذكر بعض الأدلة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل.

س٥: الكتب الموجودة الآن لا تصح نسبتها إلى الله، ما الأدلة التي تؤيد عدم صحة نسبتها إلى الله مع ما صرح به القرآن الكريم؟

القرآن الكريم

(أ) تعريفه :

القرآن في اللغة مصدر كالقراءة - تقول: قرأت الكتاب قراءةً وقرآناً، ومن ذلك قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧)﴾ (١) أي قراءته، ثم نقل هذا المصدر، وجعل اسماً للكتاب المنزل على محمد ﷺ فأصبح عَلَماً عليه دون غيره، وسُمِّي قرآناً لكونه جامعاً لثمرة كتب الله كلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ (٢)

وفي الاصطلاح: هو كلام الله - تعالى - المعجز المنزل على رسوله محمد ﷺ وحياً، المتعبد بتلاوته.

وهذا القرآن هو المحفوظ في الصدور، المقروء بالألسن، المكتوب في المصاحف، المسموع بالآذان المنقول إلينا نقلاً متواتراً بلا شبهة.

(ب) القرآن كلام الله تعالى :

القرآن كلام الله - تعالى - بلفظه ومعناه، منزل غير مخلوق سمعه منه جبريل - عليه السلام - وبلغه إلى محمد ﷺ ومحمد ﷺ بلغه لأصحابه، وهو الذي نتلوه بألسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا، ونحفظه في صدورنا، ونسمعه بآذاننا؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (٣).

ولما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو» (٤) ولقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم». (٥)

---

(١) سورة القيامة: آية (١٧). (٢) سورة النحل: آية (٨٩) (٣) سورة التوبة: آية (٦).

(٤) البخاري: كتاب الجهاد والسير - باب السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ٤/ ٦٨، مسلم: كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار (٣/ ١٤٩٠، ١٤٩٢).

(٥) حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد ٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٤) وأبو داود- كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة ح١٤٦٨ والنسائي - كتاب الافتتاح - باب تزيين القرآن بالصوت ح ١٠١٥ وابن ماجه - كتاب إقامة الصلاة، باب في حسن الصوت في القرآن ح١٣٤٢ وانظر صحيح البخاري: كتاب التوحيد - باب قول النبي ﷺ: الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. ذكره تعليقاً.

ففي الآية الكريمة سمى الله - تبارك وتعالى - المسموع وهو المتلو على المشركين من الرسول ﷺ كلام الله.

وفي الحديث الأول سمى المكتوب قرآناً، كما قال عنه تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ ﴾[1].

وفي الحديث الثاني سمى الرسول ﷺ المتلو قرآناً.

وأما الأدلة على كونه مُنَزَّلاً غيرَ مخلوق فكثيرة جداً، منها: قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ ﴾[2].

وقوله - تعالى -: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ ﴾[3].

وفي الآيات النص الصريح على أن القرآن منزل من عند الله.

ولا يصح القول بأن القرآن الكريم أوغيره من كتب الله - تعالى - التي نزلها على رسله مخلوقة لأنها كلامه، وكلامه من صفاته، وصفاته غير مخلوقة.

والإيمان بكل ما ذكرنا عن القرآن الكريم واجب، كما يجب الإيمان بأنه آخر كتاب نزل من عند الله - تعالى - جاء مصدقاً ومؤيداً لما جاء في كتب الله - تعالى - السابقة من الحق ومبيناً ما أدخل عليها من التحريف كما أنه جاء بشريعة عامة صالحة لكل زمان ومكان ناسخة لما سبقها من الشرائع، واجبة على من بلغته إلى قيام الساعة لا يقبل الله - تعالى - من أحد ديناً سواه بعد نزوله كما أخبر بذلك.

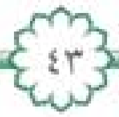
(جـ) حفظ الله - تعالى - للقرآن:

القرآن الكريم المنزل على خاتم الأنبياء هو آخر كتب الله - تعالى - نزولاً إلى البشر، وهو ناسخ لما سبقه من الشرائع، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[4]

وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا

---

(1) سورة الواقعة: الآيتان (٧٧، و ٧٨).
(2) سورة الشعراء: الآيات: (١٩٣ - ١٩٥).
(3) سورة غافر: الآيتان (١، ٢).
(4) سورة المائدة: آية (٤٨).



نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1] وهذا الحديث صريح في بيان أن ما جاء به محمد ﷺ من الدين ناسخ لما سبقه ولهذا جاء مشتملاً على كل ما يلزمهم في الحياة الدنيا إلى قيام الساعة ويأخذ بأيديهم إلى السعادة في الآخرة إن هم تبعوا تعاليمه وساروا على نهجه، وقد تكفل الله - تعالى - بحفظه لتقوم الحجة به على الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[3].

(د) التحدي بالقرآن :

إن أعظم معجزات نبينا محمد ﷺ هو القرآن العظيم، لأن كل نبي تكون معجزاته مناسبة لحال قومه، ولذلك لما كان السحر فاشياً في قوم فرعون جاء موسى - عليه السلام - بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقفت ما صنعوا فاحتاروا وانفجعوا وعلموا أن ما جاء به موسى - عليه السلام - هو الحق وليس من السحر، كما قال تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۝ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾[4] ولم يقع ذلك لغير موسى - عليه السلام - ولما كان الزمن الذي يعيش فيه عيسى -عليه السلام- قد فشا فيه الطب جاء المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - بما حير الأطباء من إحياء الموتى و إبراء الأكمه والأبرص من الداء العضال القبيح، وخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ؛ فطاشت عقول الأطباء وأذعنوا أن ذلك من عند الله - عز وجل - ولما كانت العرب أرباب الفصاحة والبلاغة وفرسان الكلام والخطابة جعل الله - سبحانه معجزة نبينا محمد ﷺ هي القرآن الكريم الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[5]

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ح ١٥٣ ص ١٣٤.
(٢) سورة الحجر: آية (٩).
(٣) سورة فصلت: الأيتان (٤١، ٤٢).
(٤) سورة الشعراء: الأيات: (٤٦ - ٤٨).
(٥) سورة فصلت: آية (٤٢).

مراحل التحدي بالقرآن :

لقد غالط مشركو قريش أنفسهم بادعائهم أن القرآن ليس من عند الله تعالى، فتحداهم الله -تبارك وتعالى - بأن يأتوا بمثله وأخبر أنهم لا يستطيعون ذلك، وهذا التحدي شامل لهم ولغيرهم ممن زعم هذا الزعم من إنس أو جن إلى قيام الساعة، فقال - تعالى - : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

ثم إن الله - تعالى - تحداهم بالإتيان بأقل من ذلك فطلب منهم الإتيان بعشر سور مثله مفتريات إن كان مفترى كما يزعمون، بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

ثم تحداهم بأقل من ذلك فطلب منهم الإتيان بسورة واحدة فقط إن كان هذا القرآن مفترى كما يزعمون بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3].

وكرر سبحانه تحدي من كان في ريب من هذا القرآن بالإتيان بسورة واحدة وأكد عدم استطاعتهم على ذلك بقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨٨).
(٢) سورة هود: آية (١٣).
(٣) سورة يونس: آية (٣٨).
(٤) سورة البقرة: الآيتان (٢٣، ٢٤).

أوجه الإعجاز في القرآن :

من أوجه الإعجاز في القرآن :

١ - أنه معجز من جهة لفظه ونظمه فهو في غاية الفصاحة والبلاغة مما أعجز العرب أن يأتوا بمثله فكيف بمن هم دونهم؟

٢ - أنه معجز من جهة ما تضمنه من أحكام وتشريعات تطبيقها يحقق السعادة في الدارين.

٣ - أن القرآن الكريم معجز بما تضمنه من أخبار عن الأمور الغيبية ماضية ومستقبلة.

٤ - من جهة ما اشتمل عليه من لفت نظر الإنسان إلى الكون وما فيه، وإلى الإنسان وتكوينه مما يدل دلالة صريحة على أنه من لدن حكيم خبير لا تخفى عليه خافية وهو على كل شيء قدير بيده الخير وهو الخلاق العليم.



أسئلة

س١ : ما معنى القرآن لغةً واصطلاحاً؟ وما المراد بالإيمان به؟

س٢ : ما معنى كون القرآن كلام الله - تعالى - مع ذكر الأدلة؟

س٣ : ما المراد بالقرآن الكريم؟

س٤ : لماذا تكفل الله بحفظ القرآن الكريم دون بقية كتبه، وما المراد بحفظه؟

س٥ : لماذا وقع التحدي بالقرآن الكريم؟ وما درجات التحدي بالقرآن مع الاستدلال على ذلك؟

س٦ : اذكر بعض أوجه الإعجاز في القرآن.



٤ - الإيمان بالرسل

تعريف النبي، والرسول :

تعريف النبي لغةً: مشتق من النبأ وهو الخبر.

وسمي النبي نبياً لأنه مخبر عن الله أي مبلِّغ عنه أمره ووحيه، ومُخْبَرٌ أي أن الله أخبره.

والإرسال في اللغة هو التوجيه.

وعلى هذا فالرسل إنما سُمُّوا بذلك؛ لأنهم وُجِّهوا من قبل الله - تعالى - قال تعالى-: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾[١].

الفرق بين النبي والرسول :

الرسول: من أوحي إليه بشرع جديد، وأرسل إلى قوم مخالفين ليبلغهم رسالة الله، كأولي العزم.

النبي: من أوحي إليه ليعمل بشرع من قبله ويحكم به، كالأنبياء من بني إسرائيل من بعد موسى - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾[٢].

النبوة منحة إلهية :

النبوة تفضل واختيار من الله - تعالى - قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾[٣] فليست غايةً توصل إليها الطرق فيبلغها البشر بجهدهم، ولا رتبة تنال بالكسب، إنما هي منزلة عالية ورتبة خاصة يختار لها الله تعالى بمحض فضله من يشاء من خلقه فَيُعِدُّهم ويهيئهم لتحملها فيحفظهم من تأثير الشياطين ويصونهم عن الشرك فضلاً منه ورحمة من غير جهد بذلوه، بل هي منحة إلهية ونعمة ربانية كما قال تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾[٤].

---

(١) سورة المؤمنون: آية (٤٤) (٢) سورة المائدة: آية (٤٤).

(٣) سورة الحج: آية (٧٥). (٤) سورة مريم : آية (٥٨).

وقال لموسى - عليه السلام - : ﴿ ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾[1]. وحكى الله تعالى قول يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾[2]. ففي الآيات السابقة الدلالة الصريحة على أن النبوة لا تنال بالعظمة ولا بالعمل فهي نعمة من الله تعالى ورحمة يصطفي لها بعض خلقه بعلمه وحكمته فليست لمن يتحراها ولا لمن يتمناها.

صفات الرسل ومعجزاتهم :

أولاً: صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام: الرسل هم الأسوة الحسنة في صفاتهم وأخلاقهم، و الحديث عن صفاتهم طويل جدا لكن نذكر منها:

(أ) الصدق:

أخبر الله - تبارك وتعالى - عن رسله أنهم صادقون بقوله: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[3] كما وصف بعضهم بذلك حيث قال عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ وقال تعالى عن نبينا ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[5] ولاشك أن الصدق هو لب الرسالة والدعوة، وبه تستقيم الأمور وتثمر الأعمال، والكذب منقصة يتنزه عنها صفوة الخلق.

(ب) الصبر:

إن دعوةَ الناس إلى طاعة الله وتحذيرهم من مخالفة أمره عملٌ صعبٌ ومسلكٌ شاقٌ لا يطيقه كل أحد لكن رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - وهم صفوة الخلق قد لاقوا في سبيل دعوتهم صنوف المشاق وأنواع الأذى فلم يثن ذلك عزائمهم ولم يوقف إقدامهم، وقد قص الله سبحانه وتعالى علينا أخبار بعض

---

(1) سورة الأعراف : آية (١٤٤).
(2) سورة يوسف: آية (٦).
(3) سورة يس: آية (٥٢).
(4) سورة مريم: آية (٤١).
(5) سورة الزمر: آية (٣٢).

أنبيائه، وما لاقوه من الأذى في سبيل دعوتهم، وما كان منهم من الصبر والتحمل في سبيل ظهور الحق وإعلاء كلمة الله - تعالى - قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤) ﴾[1] وقد أمر الله تعالى نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - بالصبر أسوة بأولي العزم من الرسل فقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥) ﴾[2].

ثانياً: معجزات الرسل عليهم السلام:

تعرف معجزات الرسل بأنها:

كل خارق للعادة يظهره الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله على وجه يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وقد جرى على أيدي أنبياء الله ورسله ما تقوم به الحجة ويلزم العقول بالخضوع والتصدي بما جاء به الرسل سواء بطلب أقوامهم أم بدون ذلك، وتسمى في القرآن آيات.

وتلك المعجزات لا تخرج عن أن تكون:

١ - إما من باب العلم: كالإخبار بالأمور الغائبة الحاضرة والماضية أو المستقبلة، فالأمور الغائبة الحاضرة: كإخبار عيسى - عليه السلام - قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وإخبار نبينا محمد ﷺ بوفاة النجاشي.

والأمور الغائبة الماضية: كإخبار رسولنا محمد ﷺ بأخبار الأمم السابقة مما جاء في القرآن الكريم من ذكر قصصهم، والأمور المستقبلة كإخباره - صلى الله عليه وسلم - بالفتن وأشراط الساعة مما سيأتي مستقبلاً في كثير من الأحاديث ،و إخباره بمصارع صناديد قريش يوم بدر.

٢ - إما من باب القدرة :- كتحويل العصا حية - وهي آية موسي - عليه السلام - وكانشقاق القمر آية من آيات صدق رسولنا ﷺ.

٣ - إما من باب الغنى عن الخلق :، كحماية الرسول ﷺ ممن أر ادوا به سوءاً في مواضع كثيرة في مكة ليلة الهجرة، وفي

---

(١) سورة الأنعام: آية (٣٤).

(٢) سورة الأحقاف: آية (٣٥).

الغار، وفي الطريق إلى المدينة عندما لحق به سراقة بن مالك، وفي المدينة لما حاول اليهود اغتياله ونحو ذلك، فهذه الأمثلة تدل على أن الله أغنى رسوله بها عن حماية خلقه.



الإيمان بالرسل جميعاً

معنى الإيمان بهم هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادته و حده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون كرام بررة هداة مهتدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به لم يكتموا ولم يغيروا ، قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ ﴾[1]

وأن بعضهم أفضل من بعض، كما قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾[2].

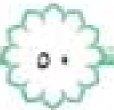
وأفضلهم أولو العزم وهم (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام) وأفضل أولي العزم محمد ﷺ.

والإيمان بهم جميعاً واجب، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً، وهذا كفرٌ بمن أرسلهم وهو الله - تبارك وتعالى - قال - تعالى - : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ ﴾[3]

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾[4] ولم يكن لقوم نوح إلا نبي واحد، فلما كذبوه جعل الله تكذيبهم له تكذيباً لجميع الرسل.

---

(١) سورة النحل (الآيتان ٣٥، ٣٦).
(٢) سورة البقرة: آية (٢٥٣).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٨٥).
(٤) سورة الشعراء: آية: (١٠٥).



وكما يجب الإيمان بهم على وجه العموم من علمنا منهم ومن لم نعلم، كذلك يجب الإيمان على وجه الخصوص بكل من سمى الله - سبحانه وتعالى - منهم مع الاعتقاد بأن لله تعالى رُسُلًا سواهم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [1].

ولب الإيمان بهم طاعتهم، باتباع أوامرهم، والابتعاد عن مناهيهم، والسير على نهجهم، فهم المبلغون عن الله - تعالى - وهم الأسوة لأممهم، وقد عصمهم الله - تعالى - فيما يخبرون عنه سبحانه، وفي تبليغ رسالته باتفاق الأمة قال - تعالى - لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ [2].

فطاعة الله - تعالى - وعبادته باتباعهم و الاقتداء بهم.

والواجب علينا هو العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو محمد ﷺ وهو خاتمهم، المبعوث إلى الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [3].

وليس من الإيمان بهم رفعهم فوق منزلتهم التي جعلها الله تعالى لهم، فهم عباد من البشر اختارهم الله وأعدهم لحمل رسالته، طبائعهم طبائع البشر، ولا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه قال - تعالى - آمراً محمداً ﷺ إبلاغ أمته: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [4] وقال: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [5] وقد حكى الله - تعالى - عن نوح - عليه السلام - قوله لقومه: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)﴾ [6].

---

(١) سورة غافر: آية (٧٨).
(٢) سورة آل عمران: الآيتان: (٣١، ٣٢).
(٣) سورة النساء: آية (٦٥).
(٤) سورة الكهف: آية (١١٠).
(٥) سورة الأنعام: آية (٥٠).
(٦) سورة هود: آية (٣١).



أسئلة

س١: عرِّف النبي لغةً، ولم سمي النبي نبياً؟

س٢: ما الفرق بين النبي والرسول؟

س٣: هل يمكن أن تنال الرسالة بالجهد البشري؟ وما المراد بكونها منحة إلهية؟ مع الاستدلال على ذلك.

س٤: تحدث عن بعض صفات الرسل مع الاستدلال على ذلك.

س٥: عرف المعجزة مع التمثيل لبعض المعجزات التي أظهرها الله سبحانه على أيدي أنبيائه ورسله.

س٦: ما حكم الإيمان ببعض الرسل دون بعض؟ ومن أفضلهم؟

س٧: هل يجب الإيمان بالأنبياء الذين لم يذكروا في القرآن.

الإيمان بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً



يتضمن الإيمان به ﷺ ما يلي:

(أ) عموم بعثته - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2] وقال ﷺ: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود»[3] وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[4].

وقد أكمل الله - تعالى - لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، على يدي المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ فهو رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

فيلزمهم جميعاً الإيمان برسالته - صلى الله عليه وسلم - ومن لم يؤمن به استحق عقاب الله - تعالى - كغيره من الكافرين، قال - تعالى - : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[6] الآية.

(ب) أنه خاتم الأنبياء والمرسلين قال - تعالى - : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[7]. والأحاديث الدالة على ختم النبوة كثيرة، منها: قوله ﷺ: «إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٨). (٢) سورة سبأ: آية (٢٨).

(٣) صحيح الإمام مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح ٥٢١ ص ٣٧٠، ومسند الإمام أحمد ٢/ ٤١٢٠.

(٤) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ح ١٥٣ ص ١٣٤ .

(٥) سورة المائدة: آية (٣).

(٦) سورة آل عمران: آية (٨٥). (٧) سورة الأحزاب: آية (٤٠).

الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد»[1]. وقوله ﷺ: «فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍّ، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[2] وقد خص ﷺ بخصائص ومعجزات كثيرة، منها: المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى، والمعراج إلى السموات العلى إلى سدرة المنتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام فكان قاب قوسين أو أدنى، والقرآن الذي هو أقوى أدلة صدقه معجزة خالدة تكفل الله بحفظها وصيانتها من أيد العابثين، و غيرها كثير.

(١) صحيح الإمام البخاري - كتاب المناقب- باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ وصحيح الإمام مسلم: كتاب الفضائل - باب في أسمائه (ﷺ) ٤/ ١٨٢٨ واللفظ لمسلم، وتفسير العاقب المذكور ليس من نص الحديث كما ذكر ابن حجر بل هو مدرج.

(٢) صحيح الإمام مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح ٥٢٣ ص ٣٧١ ومسند الإمام أحمد ٢/ ٤١٢ وأصله في البخاري بلفظ: أعطيت خمساً..



الإسراء والمعراج

المراد بالإسراء: سير جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، لقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾[1].

والمعراج: هو صعود جبريل برسول الله ﷺ من الأرض إلى السموات العلى؛ لقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾[2].

وكانا في ليلة واحدة بعد البعثة وقبل الهجرة بسنة وقيل بأكثر، وذلك يقظة لا مناماً، بروحه وجسده ﷺ.

وقصة ذلك أن الله تعالى أمر جبريل أن يسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس على دابة تسمى البُراق فصلى فيه ركعتين ثم عرج به إلى السموات العلى سماءً سماء وتلقاه في كل سماء مقربوها، وسلّم عليه الأنبياء الذين فيها، حتى مر بموسى في السماء السادسة، وإبراهيم الخليل في السماء السابعة، ثم جاوز منزلتهما حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، ورأى سدرة المنتهى، ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح، ورأى البيت المعمور، وفرض الله عليه الصلوات الخمس واطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام وصلى بهم إماماً، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون.[3]

ولما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر - رضي الله عنه - قالوا: يا أبا بكر هل لك في صاحبك يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: إن كان قاله فقد صدق، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا، لنصدقه على خبر السماء، ومن ذلك سمي أبو بكر - رضي الله عنه - الصديق.

---

(١) سورة الإسراء: آية (١).

(٢) سورة النجم: آية (١-١٨).

(٣) انظر صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات ح ١٦٢ ص ١٤٥ وما بعدها.



أسئلة

س١: ما مقتضى الإيمان بمحمد ﷺ ؟

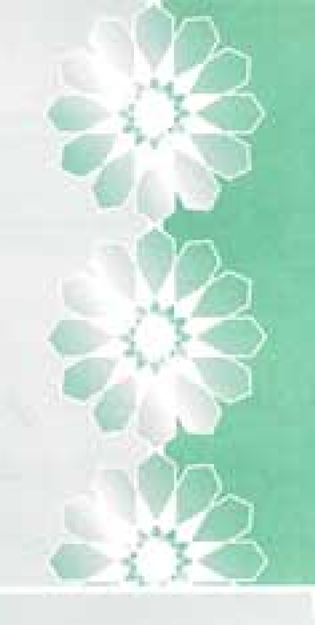
س٢: اذكر الأدلة على ختم النبوة وأن محمداً ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين.

س٣: اذكر بعض الخصائص والمعجزات التي خص بها نبينا محمد ﷺ.

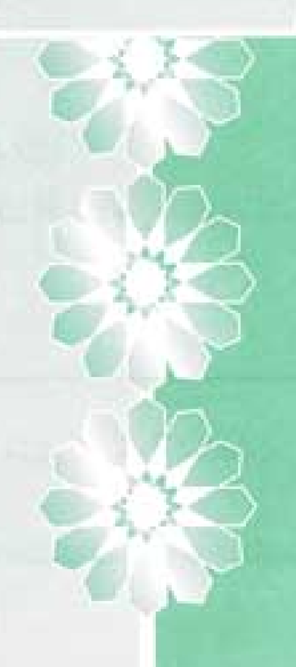
س٤: ما المراد بالإسراء والمعراج ؟ ومتى حصل ذلك للرسول ﷺ؟

س٥: هل كان الإسراء والمعراج بالرسول ﷺ يقظة أو مناماً؟ وهل كان بروحه وجسده أم بروحه فقط؟

س: ما موقف المشركين من حادثة الإسراء والمعراج؟ وما موقف أبي بكر رضي الله عنه؟



الفصل الدراسي الثاني





٥- الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان.

والمراد به الاعتقاد الجازم بصدق كل ما أخبر به الله - عز وجل - في كتابه العزيز أو أخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت ويشمل ذلك: فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما بعد ذلك من البعث والحشر وتطاير الصحف والحساب، والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعد الله - تعالى - لأهلهما فيهما.

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

(أ) قول الله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) ﴾ (١).

(ب) قول الله - تعالى -: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ (٢).

(جـ) قول الله - تعالى - عن البعث: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾ (٣).

(د) قول الرسول ﷺ جواباً لجبريل - عليه السلام - حين سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» (٤).

---

(١) سورة البقرة: آية (٦٢).
(٢) سورة البقرة: آية (١٧٧).
(٣) سورة المؤمنون: آية (١٦).
(٤) صحيح مسلم (١/ ٣٦، ٣٧). وسبق تخريجه أول الكتاب.



عذاب القبر ونعيمه

تواترت الأخبار عن الرسول ﷺ في ثبوت سؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه ، فالإيمان بذلك واجب، ونعيم القبر وعذابه يحصل لمن استحق النعيم أو العذاب، قُبِر أو لم يُقْبَرْ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً أو غرق في البحر، أو غير ذلك، والأدلة على ذلك كثيرة جداً، منها:

(أ) قول الله – تعالى – : ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [1] فقد دلت الآية على السؤال في القبر.

(ب) وقال سبحانه وتعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [2] فدلت الآية على ثبوت عذاب القبر.

(جـ) روى الشيخان عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: مرَّ النبي ﷺ على قبرين فقال ﷺ: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» [3].

(د) روى الإمام أحمد وأبو داود عن البراء بن عازب –رضي الله عنهما – قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأن على رؤسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر – مرتين أو ثلاثاً – ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى جلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت – عليه السلام – حتى يجلس عند رأسه.

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٢٧). (٢) سورة غافر: آية (٤٦).

(٣) صحيح الإمام البخاري: كتاب الجنائز – باب عذاب القبر من الغيبة والبول، وصحيح الإمام مسلم كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ح ١١١ واللفظ للبخاري.

فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله - عز وجل - : اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت، فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة وافتحوا لـه باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأ سه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، وقال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح؛ ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا،

حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [1] فيقول الله - عز وجل - : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [2] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ها هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء، أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة» [3].

(هـ) روى الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال» [4] إلى غير ذلك من الأدلة التي تدل على أن الميت يمتحن في قبره، فمن ثبته الله تعالى - وأجاب بالحق فُسح في قبره وأوتي من نعيم الآخرة، ومن ضل الصواب في سلوكه في الحياة الدنيا فلن يوفق للصواب عند سؤال الملكين؛ فيضرب بمطارق من حديد ويضيق عليه قبره وينال من العذاب بحسب ذنوبه إلى أن تقوم الساعة، أو إلى فترة من الزمن.

---

(١) سورة الأعراف: آية (٤٠).

(٢) سورة الحج: آية ٣١٠.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨) وأبو داود - كتاب السنة - باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ح ٤٧٥٣ والحاكم ١/ ٣٧ - ٣٩) وصححه الحاكم وابن القيم في تهذيب السنن.

(٤) صحيح الإمام البخاري: كتاب الجنائز - باب التعوذ من عذاب القبر، صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ما يستعاذ منه في الصلاة ح ٥٨٨ ص ٤١٢.

أسئلة

س١: ما المراد بالإيمان باليوم الآخر؟

س٢: هناك أمور أخبر الرسول ﷺ أنها تكون بعد الموت، اذكر بعضاً منها.

س٣: ما وجه الاستدلال على الإيمان باليوم الآخر من النصوص التالية:

(أ) قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة البقرة: ٦٢].

(ب) قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

(جـ) قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٦].

(د) قول الرسول ﷺ لجبريل حينما سأله عن الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

س٤: ما حكم الإيمان بسؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه؟ مع ذكر الدليل.



القيامة وعلاماتها

قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ (١).

علم الساعة من مفاتيح الغيب التي استأثر الله بها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (٢).

وقد دل على وقوعها أدلة كثيرة جداً، منها:

(أ) قول الله – تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (٣).

(ب) قول الله- تعالى-: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ (٤).

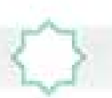
(جـ) قول الرسول ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن أصبعيه السبابة والوسطى». (٥).

ومع قطعية ثبوتها ووجوب الإيمان بها فقد استأثر الله – تعالى – بالعلم بوقت وقوعها فلم يطلع أحداً على تحديده لكنه أ خبر بعلامات تدل على قرب و قوعها.

وأما أدلة استئثار الله بعلمها فكثيرة أيضاً، ومنها ما يلي:

(أ) قول الله – تعالى – : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾. (٦)

(ب) قول الله – تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (٧).



علامات الساعة :

لما اقتضت حكمة الله – تعالى – إخفاء وقت وقوعها أعلم نبيه محمداً ﷺ بأمارات قربها فأخبرناﷺ بعلامات كثيرة يدل ظهورها على قرب وقوع الساعة و هي نوعان، علامات صغرى تدل على قربها،

---

(١) سورة الأنعام: آية (٥٩). (٢) سورة لقمان: آية (٣٤).

(٣) سورة غافر: آية (٥٩). (٤) سورة القمر: آية (١).

(٥) انظر: صحيح البخاري – كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وصحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة ح ٢٩٥١ ص ٢٢٦٩ وهذا لفظ مسلم.

(٦) سورة لقمان: آية (٣٤). (٧) سورة الأحزاب: آية (٦٣).

وعلامات كبرى تكون بين يديها قريباً تنهال متتابعة.

فمن علاماتها الصغرى ما يلي:

(أ) جاء في حديث جبريل - عليه السلام - حين سأل الرسول ﷺ بقوله: متى الساعة قال ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، و سأخبرك عن أشراطها [١]: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة البهم [٣] في البنيان»[٤].

(ب) ومنها قتال المسلمين لليهود وانتصار المسلمين عليهم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من و راء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». [٥].

والعلامات الصغرى التي أخبر بها الرسول ﷺ يطول ذكرها كتقارب الزمان وفشو الجهل وظهور الفتن وكثرة القتل وكثرة الزنا والفسوق وغير ذلك.

وأما العلامات الكبرى فمنها :

(أ) خروج الدجال وقد أخبر الرسول ﷺ بخروجه بأحاديث كثيرة بلغت التواتر، وقد أنذرت به الأنبياء أقوامها وحذرت منه أممها، وقد أخبرنا الرسول ﷺ بأنه أعظم فتنة تحصل منذ خلق آدم إلى قيام الساعة، ومن دعائه ﷺ الاستعاذة من فتنته، وأمر أمته بذلك.

---

(١) الأشراط جمع شرط بفتح الشين والراء، والأشراط العلامات، وقيل المقدمات وقيل صغار أمورها قبل تمامها.
(٢) ربها: أي سيدها ومالكها. (٣) البهم الصغار من أولاد الغنم.
(٤) صحيح البخاري (١/ ٢٠) - انظر صحيح مسلم (١/ ٣٩).
(٥) صحيح الإمام البخاري: كتاب الجهاد والسير - باب قتال اليهود، وصحيح الإمام مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ح ٢٩٢٢ ص ٢٢٣٩ - واللفظ لمسلم.

ومن الأحاديث الكثيرة الواردة في التحذير منه حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر»[١].

(ب) نزول نبي الله عيسى - عليه السلام- على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل الدجال ويدعو إلى دين الإسلام ويحكم به، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية.

والأدلة على هذا كثيرة، منها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[٢].

(جـ) طلوع الشمس من مغربها، وهذه علامة اقتراب الساعة وبداية تغير نظام هذا العالم الذي يسير به، ولشدة تأثير هذه الآية يفزع الناس عند رؤيتها ويؤمنون جميعاً ولكن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل كما قال - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨) ﴾[٣].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾»[٤].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن - باب ذكر الدجال (١٠٣٨/)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر المسيح الدجال وصفته وما معه ح ٢٩٣٣ وح٢٩٣٤ ص ٢٢٤٨ - ٢٢٤٩ .

(٢) صحيح الإمام البخاري: كتاب البيوع - باب قتل الخنزير (٣/ ٤٠)، وصحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان - باب نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة محمد ﷺ ح ١٥٥ ص ٢٣٥.

(٣) سورة الأنعام: آية (١٥٨).

(٤) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ح ١٥٧ ص ١٣٧، وصحيح الإمام البخاري: كتاب التفسير - تفسير سورة الأنعام - باب لا ينفع نفساً إيمانها ج٥ ص ١٩٥ .

وهناك علامات كثيرة غير ما ذكر كظهور المهدي، والدابة، والدخان، وغيرها كما جاء في الحديث عن حذيفة بن أسيد - رضي الله عنه - قال: طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال ﷺ «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات» فذكر الدخان، والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1] وهي متقاربة جداً يعقبها نهاية الدنيا وموت جميع الخلق، قال - تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[2].

وقد سئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: «قرن ينفخ فيه»[3] فيموت من في السموات والأرض إلا من شاء الله. والله أعلم.

أسئلة

س١: ما الأدلة على قيام الساعة؟ وهل يعلم أحد متى وقت قيامها مع الاستدلال على ذلك؟

س٢: ما الفرق بين علامات الساعة الكبرى والصغرى؟ ومثل لكل منهما.

س٣: ما المراد بالصور؟ وما الآثار المترتبة على النفخ فيه؟

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ح ٢٩٠١ ص ٢٢٢٥

(٢) سورة الزمر آية: (٦٨). (٣) المسند (٢/ ١٦٢، ١٩٢).

البعث

البعث هو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً.

قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1].

والبعث حق ثابت دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾[2] الآية.

ومن السنة قول النبي ﷺ: «ثم يُنْزِلُ اللهَ من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل»[3] وقد أجمع المسلمون على ثبوته.

الرد على منكري البعث:

لقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن، و هذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع والحس والعقل:

١ - دليل الشرع: كقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧) ﴾[4] وغير ذلك من الأدلة من القرآن والسنة.

٢ - دليل الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، ومن الأمثلة على ذلك:

في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء: آية (١٠٤).

(٢) سورة المؤمنون: آية (١٥، ١٦).

(٣) يأتي تخريجه ص ٦٩.

(٤) سورة التغابن: آية (٧).

(٥) سورة البقرة: آية (٧٢، ٧٣).

في قصة إبراهيم الخليل ﷺ حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ويأتين إلى إبراهيم سعياً، وفي ذلك يقول الله- تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾ [(١)]

٣ - وأما دلالة العقل **على إمكان البعث فمن وجوه:**

الوجه الأول: الاستدلال بخلق السموات والأرض على قدرة الخالق على البعث قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩)﴾ [(٢)] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)﴾ [(٣)]. وقال- تعالى-: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ [(٤)] فتدل هذه الآيات على أن خلق الإنسان، وإحياءه بعد موته أيسر وأهون من خلق هذه المخلوقات العظيمة مع أن الكل هيِّنٌ عليه -تعالى-.

الوجه الثاني: الاستدلال على البعث بخلق الإنسان أولاً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)﴾ [(٥)].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)﴾ [(٦)] وقوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾ [(٧)].

فالقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته.

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٦٠).
(٢) سورة الإسراء: آية (٩٩).
(٣) سورة الأحقاف: آية (٣٣).
(٤) سورة غافر: آية (٥٧).
(٥) سورة الروم: آية (٢٧).
(٦) سورة يس: آية (٧٧ - ٧٩).
(٧) سورة ق: آية (١٥).

الوجه الثالث: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على بعث الأجساد بعد الموت، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[3].

فالذي أحيا الأرض الميتة الهامدة بالمطر قادر على إحياء الموتى.

هيئة البعث

بعد معرفة أدلة البعث نشير هنا إلى هيئته، وهو أنه بعد النفخة الأولى في الصور وموت جميع الخلق يمكثون مدة قبل البعث كما جاء في الحديث المتفق على صحته من رواية أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت[4] قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنةً؟ قال: أبيت «ثم يُنَزِّل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل. قال: ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنَبِ ومنه يُرَكَّبُ الخلقُ يوم القيامة»[5].

فإذا نبت عَجْبُ الذَّنَبِ وعادت الأجسام كما كانت نفخ في الصور النفخة الثانية فعادت كل روح إلى

(١) سورة الأعراف: آية (٥٦). (٢) سورة الزخرف: آية (١١).

(٣) سورة فصلت: الآية (٣٩).

(٤) قال: «أبيت» أي أبيت الجزم إلا بأربعين فقط من غير تمييز.

(٥) صحيح الإمام البخاري: كتاب التفسير، تفسير سورة «عم»، باب يوم ينفخ في الصور، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين ح ٢٩٥٥ ص ٢٢٧٠، ٢٢٧١ وعجب الذَّنَبِ هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصُّلب وهو رأس العصعص.

جسدها فتعود الحياة مرة ثانية كما كانت أول مرة قال - تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢). والآيات في هذا كثيرة جداً.



الحشر

وبعد قيام الناس من قبورهم يساق الخلق إلى أرض المحشر، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (٣) وقال: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (٤).

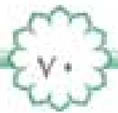
وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرْلاً» (٥) الحديث.

في الآيات دلالة على أن الحشر من حقائق الآخرة وهو جمعهم إلى أرض المحشر من أماكن بعثهم على صفات مختلفة.

حالة الناس في الحشر :

هناك يقف الخلق وقوفاً طويلاً انتظاراً لفصل القضاء، وهم على أحوال مختلفة تحكي حالهم في الحياة الدنيا فتظهر أعمال الناس فلا تخفى على أحد، مع ما في الموقف من الرهبة والشدة فيطلبون من يشفع لهم إلى ربهم ليقضي بينهم فيذهبون إلى أبيهم آدم - عليه السلام - فيأمرهم بالذهاب إلى نوح - عليه السلام - ونوح يأمرهم بالذهاب إلى إبراهيم - عليه السلام ، ويأمرهم إبراهيم بالذهاب إلى موسى - عليه السلام- وكلهم يعتذرون بأن الله غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ويأمرهم موسى - عليه السلام - بالذهاب إلى عيسى

(١) سورة الأنبياء: آية (١٠٤).
(٢) سورة المطففين: آية (٦).
(٣) سورة ق: آية (٤٤).
(٤) سورة الكهف: آية (٤٧).
(٥) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ح ٢٨٥٩ ص ٢١٩٤، ومعنى غُرْلاً أي: غير مختونين.



- عليه السلام - ويعتذر بأن الله - تعالى - غضب اليوم غضباً لم يغضب بعده مثله ويأمرهم بالذهاب إلى محمد ﷺ فيشفع بذلك محمد ﷺ ثم يأذن الله تعالى بالقضاء بين الخلائق [1] والله سريع الحساب.

الحساب

المراد بهذا أن الله سبحانه وتعالى يظهر الإنسان على أعماله في الحياة الدنيا ويقرره بذلك، كما يقتص لبعض الخلق من بعض ويقضي بينهم، وذلك على الله يسير.

والأدلة على هذا في القرآن والسنة كثيرة جدًا مثل: قوله - تعالى - : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) ﴾ [2] وقوله: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [3]. وقوله: ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) ﴾ [4]

وقوله: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦) ﴾ [5].

والله -سبحانه وتعالى - هو الذي يتولى حساب الخلق بنفسه؛ لما روى البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة». [6].

فيؤتى بالكتب التي دونتها الحفظة على ابن آدم ليقرأ ما كتب بها وليقف كل إنسان على عمله كما أخبر - تبارك له وتعالى - على هذا بقوله: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ

---

(١) يراجع حديث الشفاعة الطويل في كتب السنة كالبخاري: كتاب التفسير، تفسير الإسراء، باب ذرية من حملنا مع نوح، ج ٥ ص٢٢٥، و مسلم كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩٤ ص (١٨٤ - ١٨٦).

(٢) سورة الأعراف: آية (٦).

(٣) سورة الكهف: آية (٤٨).

(٤) سورة غافر: آية (١٧).

(٥) سورة الغاشية: الأيتان: (٢٥، ٢٦).

(٦) صحيح الإمام البخاري: كتاب الرقاق باب من نوقش الحساب عذب، وصحيح الإمام مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ح ١٠١٦ ص (٧٠٣، ٧٠٤) واللفظ لمسلم.

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

وقال: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[2].

ويعرف كل إنسان حاله كما يعلم الناس ذلك عند توزيع الكتب ، فمن أوتي كتابه باليمين فهو من المفلحين وحسابه سهل ميسر ، ومن أوتي كتابه بشماله من وراء ظهره فحسابه عسير، ومن نوقش الحساب هلك، لما روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» قالت: قلت يا رسول الله، جعلني الله فداك – أليس يقول الله – عز وجل :
﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[3]؟ قال ﷺ: «ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك»[4].

فمن فضل الله – تعالى – ولطفه بالمؤمنين لا يناقشهم الحساب على أعمالهم، وإنما يعرضها عليهم ويقررهم بها وهي مما ستره عليهم في الدنيا، وكذلك لا يطلع عليها أحد في هذا الموقف، ويقول لهؤلاء: إني قد سترت ذلك في الدنيا وأنا أغفرها اليوم، بخلاف الكفار فينادى بهم على رؤوس الأشهاد، لما جاء عن ابن عمر– رضي الله عنهما– أنه سئل : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ قال: سمعته يقول: «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه – عز وجل – حتى يضع عليه كنفه[5] فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: «هؤلاء الذين كذبوا على الله»[6].

---

(١) سورة الكهف: آية (٤٩). (٢) سورة الإسراء: الآيتان: (١٣، ١٤). (٣) سورة الانشقاق: الآيتان (٧، ٨).

(٤) صحيح الإمام البخاري : كتاب التفسير، تفسير سورة الانشقاق، باب : ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾، وصحيح الإمام مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب ح ٢٨٧٦ ص (٢٢٠٤، ٢٢٠٥).

() كنفه: هو ستره.

(٦) صحيح الإمام مسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ح ٢٧٦٨ ص ٢١٢٠ ،وصحيح البخاري : التفسير، تفسير سورة هود، باب: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾.

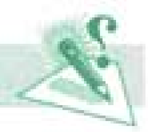
وقد أحصى - تبارك وتعالى - على الخلق جميع أعمالهم خيراً أو شراً كما قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾[1].

وقال: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2].

فسيرى كل عامل عمله ولا مجال للإنكار، لأن الأرض تخبر بما عُمل عليها وتنطق الجوارح بما كسبت قال تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) ﴾[4].

فالموقف شديد، والكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.



أسئلة

س١: ما المراد بالبعث؟ وما حكم الإيمان به؟ مع ذكر الدليل.

س٢: ما موقف المشركين من عقيدة البعث؟

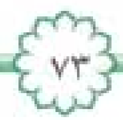
س٣: بيِّن الرد الشرعي، والحسي، والعقلي، على منكري البعث، مع وجه الاستدلال من خلال النصوص التالية:

(أ) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾ [سورة البقرة: الآيتان ٧٢، ٧٣].

(ب) قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) ﴾ [سورة التغابن: آية٧].

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان (٧، ٨).
(٢) سورة المجادلة: آية (٦).
(٣) سورة الزلزلة: الآيات (١-٤).
(٤) سورة يس: آية (٦٥).



(جـ) قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) ﴾ [سورة الإسراء: آية ٩٩].

(د) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

(هـ) قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾ [سورة غافر: آية ٥٧].

(ز) قال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) ﴾ [سورة ق: آية ١٥].

(حـ) قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [سورة فصلت: آية ٣٩].

س٤: ما هيئة البعث؟ واذكر الدليل على ذلك.

س٥: ما المراد بالحشر؟ وما حالة الناس في الحشر؟ مع الاستدلال على ذلك.

س٦: ما المراد بالحساب؟ وكيف تتم محاسبة المؤمنين والكفار؟ مع الاستدلال على ذلك.

الحوض

الحوض: مورد عظيم ترده أمة محمد ﷺ يوم القيامة إلا من خالف هديه وبَدَّل بعده، جاء في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال وهو بين ظهراني أصحابه: «إني على الحوض أنتظر من يرد علي منكم، فوالله لَيُقْتَطَعَنَّ دوني رجال، فلأقولن: أي ربي، مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم»[1] ففي هذا الحديث إثبات الحوض، وأن الابتداع ومخالفة الأوامر موانع من وروده. وقد تواترت الأحاديث في خبر الحوض.

عن عبد الملك بن عمير قال: سمعنا جُنْدَباً - رضي الله عنه - يقول: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أنا فَرَطُكُم [2] على الحوض» [3].

صفات الحوض: ورد في الأحاديث الصحيحة في صفة الحوض أنه في غاية العِظَم والاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، ويمد من نهر الكوثر، يشخب فيه ميزابان مِن الجنة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وكيزانه [4] عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً، قال عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال النبي ﷺ في صفة الحوض: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً».[5]

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب الفضائل - باب إثبات حوض نبينا (ﷺ) وصفاته ح ٢٢٩٤ ص ١٧٩٤، وصحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب في الحوض.

(٢) الفَرَط هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء، ونحوها.

(٣) صحيح الإمام البخاري : كتاب الرقاق، باب الحوض، وصحيح الإمام مسلم: كتاب الفضائل - باب إثبات حوض نبينا (ﷺ) ح ٢٢٩٠ ص ١٧٩٣.

(٤) جمع كوز وهو إناء بعروة يشرب به الماء.

(٥) متفق عليه صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب الحوض، وصحيح مسلم: كتاب الفضائل - باب إثبات حوض نبينا (ﷺ) وصفته ح ٢٢٩٢ ص (١٧٩٣، ١٧٩٤).



الميزان

الميزان :

هو الآلة التي تعرف بها مقادير الأشياء.

والمراد بالميزان هنا: ميزان حقيقي له كِفَّتان حسيتان يوضع لوزن أعما العباد يوم القيامة، وفيه إظهار العدل الرباني [1] فلا تظلم نفس شيئاً، فيحضر تبارك وتعالى أعمال الإنسان وإن كان مثقال حبة من خردل، لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها. وقد تكون موازين الأعمال متعددة، وقد يكون الميزان واحداً، والله قادر على كل شيء. والأدلة على ثبوت الميزان ووزن الأعمال كثيرة، منها:

(أ) قول الله – تعالى – : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [2].

(ب) قول الله – تعالى – : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [3].

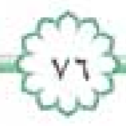
(جـ) قول الله – تعالى – : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ [4].

(د) قال ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحانه الله وبحمده سبحان الله العظيم». [5]

في الأدلة السابقة ما يدل على إثبات الموازين، وإثبات وزن الأعمال وترتب الفلاح على ثقلها والخسارة على خفتها.

---

(١) لما كان الإنسان متصفاً بالجحود والجهل كان الوزن إقامة للحجة عليه وإلا فإن الله بكل شيء عليم.
(٢) سورة الأنبياء: آية (٤٧).
(٣) سورة المؤمنون: الآيتان (١٠٢، ١٠٣).
(٤) سورة القارعة: الآيات: (٦: ١١).
(٥) صحيح البخاري كتاب التوحيد - آخر حديث في الصحيح.



ثم إن الأعمال التي توزن يوم القيامة وهي أعراض لا تقبل الوزن في الحياة الدنيا تكون في ذلك الوقت قابلة لذلك، لأن معايير تلك الحياة ليست هي كما في حياتنا الآن، والأعمال التي توزن تتفاوت ثقلاً وخفة بحسب نوع العمل وعظمه وما يصاحبه من إخلاص ومتابعة وإحسان.

فاعتبارات الوزن ليست لذات العمل، وإنما لما يصحبه، لأن كثيراً من الخلق يأتون بكلمة الشهادة ومع ذلك تغلب سيئاتهم حسناتهم مع كون الشهادة ترجح بالسيئات العظيمة كما في حديث البطاقة. الذي رواه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سَيُخَلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فَيَنْشُرُ عليه تسعة وتسعين سجلاً، كُلُّ سجلٍّ مثل مَدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يارب، فيقول: أفلك عذراً، فيقول: لا يارب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً فإنه لا ظلم عليك اليوم، فَيَخْرِجُ بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول احْضُرْ وَزْنَكَ، فيقول: يارب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال: فتوضع السِّجلاَّت في كِفَّة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء».[1]



الصراط



الصراط :

هو الطريق.

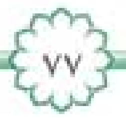
والمراد هنا: الجسر المنصوب على ظهر جهنم طريقاً إلى الجنة، والمرور على الصراط عامٌّ للمؤمنين ومن ادَّعى الإيمان (كالمنافقين) ولا يمكن الوصول إلى الجنة إلا بعد تجاوزه.

وقد دل عليه الكتاب والسنة، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾[2]

---

(١) انظر: مسند الإمام أحمد (٢/ ٢١٣) والترمذي، كتاب الإيمان - باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ح ٢٦٣٩ - واللفظ له.

(٢) سورة مريم: آية (٧١، ٧٢).



وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - في حديث طويل -أن النبي ﷺ قال: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها»[1].

وعن أبي هريرة وحذيفة - رضي الله عنهما - قالا: قال رسول الله ﷺ: فذكر حديث الشفاعة، وفيه: «فيأتون محمدًا ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط، يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنت وأمي ! أي شيء كَمَرِّ البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كَمَرِّ الريح، ثم كَمَرِّ الطير وشَدِّ الرجال[2] وتجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سَلِّمْ سَلِّمْ حتى تعجز أعمال العباد. حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً قال: وفي حافتي الصراط كلاليبُ معلقةٌ مأمورة بأخذ من أُمِرَتْ به فمخدوش ناجٍ ومكدوسٌ في النار»[3].

وفي الأحاديث أدلة ثبوت الصراط، وصفته، وهول الموقف، وأن الأعمال هي وسيلة العبور وسبب النجاة، لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[4] أي أن الله تعالى ينجيهم بعد الورود ويذر الظالمين فيها جثياً، فلا يتجاوزونها.

ومن حاد عن الصراط المستقيم في الدنيا وقت الرخاء فلن يصمد على الطريق المزلة وقت الشدة، وقد افتقد وسيلته وهي العمل الصالح.



الشفاعة



الشفع :

ضم الشيء إلى مثله.

والشفاعة لغةً: الوسيلة والطلب.

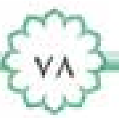
---

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار. وصحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان - باب معرفة طريق الرؤية ح ١٨٢ ص (١٦٣ - ١٦٤).

(٢) الشد هو العَدْو البالغ.

(٣) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩٥ ص (١٨٦ - ١٨٧).

(٤) سورة مريم: آية (٧٢).



والمراد بها: التوسط للغير بجلب منفعة ودفع مضرة.

وأكثر ما يستعمل هذا المعنى في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. والشفاعة يوم القيامة عند الله - سبحانه وتعالى - لابد فيها من شرطين:

الشرط الأول:

إذن الله تعالى للشافع أن يشفع؛ لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[2] وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ۝٢٦﴾[3].

ويقول سيد الشفعاء في حديث الشفاعة الطويل: «فأستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع»[4].

الشرط الثاني:

رضى الله عن المشفوع له، والدليل قوله - تعالى - : ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[5]وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٢) سورة سبأ: آية (٢٣).

(٣) سورة النجم: آية (٢٦).

(٤) صحيح الإمام البخاري: كتاب التفسير - سورة بني إسرائيل - باب: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ وصحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة ح ١٩٣ ص (١٨٠ - ١٨١).

(٥) سورة الأنبياء: آية (٢٨).

(٦) سورة المدثر: آية (٤٨).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) [١].

وأدلة هذين الشرطين كثيرة، تبين أن الشفاعة عند الله تعالى ويوم القيامة لا تكون إلا لمن أذن له بالشفاعة، ولا يأذن إلا للمؤمنين المتقين الأخيار، ولا يشفعون إلا لمن رضي اللّه عنه من أهل توحيده، وأنها نائلة من قال: لا إله إلا اللّه ولو بعد دخول النار بإخراجه منها، كما تنتفي عن أهل الشرك، وهي ملك الله وحده، كما قال: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [٢] فلا يجوز طلبها من أحد سواه.



أنواع الشفاعة

الشفاعة نوعان:

الأولى - خاصة بالنبي - صلى الله عليه وسلم.

الثاني - عامة له ولغيره.

فالأولى - منها:

(أ) الشفاعة العظمى، وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ وهي المقام المحمود الذي وعده الله - عز وجل - بقوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [٣] وذلك حين يشتد على الناس الموقف ويلتمسون الشفاعة في أن يفصل بينهم فيأتون آدم ، ثم إبراهيم، ثم موسي، ثم عيسى ابن مريم - عليهم السلام - وكلهم يقول نفسي نفسي إلى أن ينتهوا إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «أنا لها». [٤]

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي دعوة الشفاعة لأمته ح ١٩٩ - ص ١٨٩ .

(٢) سورة الزمر: آية (٤٤) (٣) سورة الإسراء: (٧٩).

(٤) انظر: صحيح البخاري: كتاب التفسير - سورة بني إسرائيل - باب ذرية من حملنا مع نوح، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩٣ - ص (١٨٠ - ١٨٧).

(ب) الشفاعة في دخول أهل الجنةِ الجنةَ، ودليلها حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تَبَعًا»[1].

(جـ) شفاعة الرسول ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب... فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضَحْضَاح من نار يغلي منه دماغه»[2] ولا تنفعه الشفاعة في الخروج من النار، لكونه مات غير موحد بخلاف أهل التوحيد.. والله أعلم.

الثانية - الشفاعة العامة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، ومنها:

(د) الشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين ممن أدخلوا النار فيخرجون منها، كما جاء ذلك صريحاً في الأحاديث الكثيرة التي بلغت حد التواتر وهي عامة وتتكرر من الرسول ﷺ مرات، ويشفع أيضاً الملائكة والنبيون والمؤمنون.

وهذه الشفاعة أنكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم الباطل أن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

(هـ) الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة فوق ما تقتضيه أحوالهم.

(و) الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ومن أدلة هذا النوع قول الرسول ﷺ لِعُكَّاشة بن مِحْصَن لما طلب منه أن يدعو الله أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب: «اللهم اجعله منهم»[3].

(ز) الشفاعة في أقوام قد أُمِرَ بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب الإيمان -باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة» ح ١٩٦ ص ١٨٨

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب الرقاق- باب صفة الجنة والنار، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان -باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ح ٢١٠ ص ١٩٥ وهذا لفظ مسلم.

(٣) انظر: صحيح الإمام البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم: كتاب الإيمان - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

أسئلة

س١: ما الحوض؟ وما الأدلة على ثبوته؟

س٢: اذكر صفات الحوض.

س٣: عرف الميزان، وهل هو حقيقي؟ مع الدليل على ذلك.

س٤: ما المراد بالصراط، وهل هناك أحد يدخل الجنة دون أن يمر عليه؟ اذكر الدليل على ما تقول.

س٥: اذكر بعض الأدلة على ثبوت الصراط وصفته.

س٦: ما الشفاعة؟ وما شروطها؟ وما المانع منها؟

س٧: هل تطلب الشفاعة من غير الله؟ ولماذا؟ مع ذكر الدليل على ما تقول.

س٨: ما أنواع الشفاعة؟ وما الخاص منها بمحمد ﷺ؟

الجنة والنار

الجنة: هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار: هي الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن؛ لقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١) وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢) والإعداد التهيئة، ولقوله ﷺ: حين صلى صلاة الكسوف: «إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع» (٣).

والجنة ولنار لا تفنيان؛ لقوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٤) وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٥).

مكان الجنة والنار:

الجنة في أعلى عليين؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (٦) وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر: «يقول الله - عز وجل - اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض» (٧).

والنار في أسفل سافلين؛ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ (٨) وقوله ﷺ في حديث البراء بن عازب السابق: «فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى».

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٣٣). (٢) سورة آل عمران: آية (١٣١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف جماعة، وصحيح مسلم: كتاب الكسوف - باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، ح ٩٠٧ ص ٦٢٦.

(٤) سورة البينة: آية (٨).

(٥) سورة الأحزاب: آية (٦٤).

(٦) سورة المطففين: آية (١٨).

(٧) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧) والحاكم (١/ ٣٧) وصححه وسبق تخريجه.

(٨) سورة المطففين: آية (٧).

أهل الجنة وأهل النار :

أهل الجنة كل مؤمن تقي؛ لأنهم أولياء الله، قال تعالى في الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] وقال - تعالى -: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾[2] وأهل النار كل كافر شقي ، قال الله تعالى في النار: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] وقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ ﴾[4].

أسئلة

س١ : ما المقصود بالجنة و النار؟ وهل هما مخلوقتان؟ مع الدليل على ذلك.

س٢ : أين مكان الجنة والنار؟ وهل تفنيان؟ مع الاستدلال لما تقول.

س٣: من هم أصحاب الجنة وأصحاب النار؟

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٣٣).

(٢) سورة الحديد: آية (٢١).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٤).

(٤) سورة هود: آية (١٠٦).

٦- الإيمان بالقدر

القَدَر :

تقدير الله تعالى للكائنات حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته.

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان كما في جواب الرسول ﷺ حين سأله جبريل - عليه السلام - عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره». [1]

والمراد بالإيمان بالقدر: التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [2].

وفي قول الله - تعالى - دلالة على أن جميع ما يجري في الآفاق وفي الأنفس من خير أو شر فهو مقدر من الله - تعالى - ومكتوب قبل خلق الخليقة، فما فات من المحبوب لا يُوجِبُ الحَزَنَ، وما حصل منه لا يُوجِبُ الفَرَحَ.

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو كان لك جبل أحد أومثل جبل أحد ذهباً أنفقته في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر، و تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار». [3]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، و في كُلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» [4]

---

(١) صحيح الإمام مسلم (١/ ٣٧) وانظر: صحيح البخاري (١/ ١٩ ، ٢٠) وتقدم تخريجه. (٢) سورة الحديد: الآيتان: (٢٢، ٢٣).

(٣) مسند الإمام أحمد (٥/ ١٨٥)، وأبو داود : كتاب السنة -باب في القدر ح ٤٦٩٩، وابن ماجه: المقدمة باب في القدر، ح ٧٧، واللفظ لأحمد. (٤) صحيح الإمام مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ح ٢٦٦٤ ص ٢٠٥٢ .

وكل ما قدر الله تعالى فهو لحكمة يعلمها، ولا يخلق الله تعالى شرًا محضًا لا يترتب عليه مصلحة، فالشر ليس إليه من حيث هو شر، وإنما هو داخل في عموم خلقه كل شيء، وهو بالنسبة لله عدل وحكمة ورحمة ولا يدخل في شيء من صفاته ولا أفعاله فله الكمال المطلق يدل على هذا قوله - تعالى - : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [1] أي أن ما يصيب الإنسان من الخير والإنعام فهو من الله - تعالى - وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه ولا محيد لأحد عن القدر المقدور، والله - تعالى - خالق العباد ولا يجري في ملكه إلا ما يريد ولا يرضى لعباده الكفر، وقد وهبهم القدرة والاختيار، فأفعالهم واقعة بقدرتهم وإرادتهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.



مراتب الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر على أربع مراتب، هي:

المرتبة الأولى : العِلْمُ :

الإيمان بعلم الله، فهو سبحانه عالمٌ بكل شيء ، وهو بكل شيء محيط، فلا يَعزُبُ عنه مثقالُ ذَرَّة في السموات ولا في الأرض، فيعلم جميع خلقه قبل خلقهم، ويعلم ما تكون عليه أحوالهم كلها سرها وعلانيتها.

والأدلة على هذا كثيرة، منها:

(أ) قوله - تعالى- : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [2].

(ب) قوله - تعالى - : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [3].

---

(١) سورة النساء :آية (٧٩).

(٢) سورة الطلاق: آية (١٢).

(٣) سورة الحشر: آية (٢٢) و تكرر قوله تعالى « عالم الغيب والشهادة» في آيات كثيرة من القرآن ، في البقرة والأنعام، والرعد والمؤمنون، والروم، والسجدة ، والجمعة والتغابن.

(جـ) قوله – تعالى : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ ﴾[1].

(د) قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٥٩) ﴾[2].

(هـ) وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم»[3].

ودلالة الأدلة السابقة واضحة جلية على علم الله وإحاطته بكل شيء شاهداً وغائباً ما كان وما يكون ومالا يكون لو كان كيف يكون .

المرتبة الثانية : الكتابة :

الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير خلقه في اللوح المحفوظ ولم يفرط في ذلك من شيء وعلى هذا أدلةٌ كثيرة، منها:

(أ) قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) ﴾[4].

(ب) قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) ﴾[5].

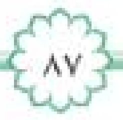
---

(١) سورة سبأ: آية (٣)   (٢) سورة الأنعام: آية (٥٩).

(٣) صحيح الإمام مسلم :كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح ٢٦٦٠ ص ٢٠٤٩ . وانظر: صحيح الإمام البخاري: كتاب القدر – باب : الله أعلم بما كانوا عاملين.

(٤) سورة الحديد: آية (٢٢).

(٥) سورة الحج: آية (٧٠).



(جـ) قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ (٣٨)﴾[1].

(د) وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله – تبارك وتعالى – القلم، ثم قال له: اكتب قال: وما أكتب قال: فكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»[2].

(هـ) قول الرسول ﷺ فيما رواه الشيخان عن علي – رضي الله عنه – : «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة، فقال رجل من القوم: ألا نَتَّكِلُ يا رسول الله؟ قال: لا، اعملو فكل ميسر، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥)﴾ الآيات[3]»[4].

والأدلة السابقة مصرحة بأن الله – تبارك وتعالى – كتب كل شيء قبل الخلق، ولم يفرط في الكتاب من شيء وذلك سهل يسير على من لا تخفى عليه خافية.

المرتبة الثالثة : المشيئة :

مرتبة الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، ما شاه الله تعالى كونه فهو كائن ولابد، وما لم يشأ لم يكن، والأدلة على المشيئة الشاملة كثيرة جدًا، منها:

(أ) قوله – تعالى – : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٩)﴾[5].

(ب) قوله – تعالى – : ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٣٩)﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام: آية (٣٨).

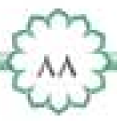
(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣١٧)، وانظر: كتاب الشريعة للآجري: ١٧٧٠ و ١٧٨، ١٨٦، ١٨٧).

(٣) سورة الليل: آية (٥) وما بعدها إلى آية (١٠).

(٤) صحيح الإمام البخاري: كتاب القدر، باب: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ وصحيح الإمام مسلم: كتاب القدر – باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ح ٢٦٤٧ ص ٢٠٤٠ واللفظ للبخاري.

(٥) سورة التكوير: آية (٢٩).

(٦) سورة الأنعام: آية (٣٩).



(جـ) قوله – تعالى – : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [1].

(د) قوله – تعالى – : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [2].

(هـ) قول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» [3].

ودلالة هذه الأدلة على عموم مشيئة الله تعالى ظاهرة؛ فكل ما يحصل في هذا الكون فهو مراد الله – سبحانه وتعالى – بالإرادة الكونية، فهو الخالق وحده الملك المدبر، فلا يجري في ملكه إلا ما يريد لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، أما ما لم يرده سبحانه فلا يكون، لعدم المشيئة لا لعدم القدرة؛ لأن الله – تبارك وتعالى – لا يعجزه شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [4].

المرتبة الرابعة : الخلق :

المرتبة الرابعة: الخلق:

الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، لا خالقَ غيرُهُ ولا ربَّ سواه، ومما يدل على هذا ما يلي:

(أ) قول الله – تعالى – : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [5].

(ب) قول الله – تعالى – ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [6].

(د) قول الله – تعالى – : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [7].

---

(١) سورة المائدة: آية (٤٨) والنحل آية (٩٣). (٢٢) سورة يس: آية (٨٢).

(٣) صحيح الإمام البخاري- كتاب العلم – باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وصحيح الإمام مسلم : كتاب الإمارة –باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» ح ١٠٣٧ ص ١٥٢٤ .

(٤) سورة فاطر: آية (٤٤).

(٥) سورة الزمر: آية (٦٢).

(٦) سورة الفرقان: آية (٢).

(٧) سورة البقرة: آية ١١٧٠) والأنعام: آية (١٠١).

(هـ) قول الله - تعالى- : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

(و) قول الرسول ﷺ: «إن الله خالق كل صانع وصنعته»[2].

في الآيات السابقة والحديث النص الجلي على أن الله - تبارك وتعالى - وهو الذي قدَّر كل شيء وخلقه وهو الذي أحاط الأشياء بعنايته ورعايته، وقد قدر الكائنات وأوجدها لا على مثال سابق ووهب بعض خلقه القدرة والفعل، والله سبحانه هو الخالق للفاعل وفعله وهو الخلاق العليم.



التحذير من الخوض في القدر

الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، كما أن القدر نظام التوحيد، والإيمان بالأسباب الموصلة إلى خير القدر وشره هي نظام الشرع، ولا يستقيم أمر الدنيا والدين بدون الإيمان بالتوحيد والشرع، وقد أكد هذا الرسول ﷺ لمن قال له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ بقوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) ﴾[3]»[4].

وهذا القول من الرسول ﷺ أمرٌ بالعمل ونهيٌ عن الاتكال، والأعمال الحاصلة من الإنسان دليل ما سبقت به المشيئة، وقدر على الإنسان، وخالق الأسباب ومسبباتها هو الخالق لكل شيء - سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل، والقدرُ سِرُّ الله تعالى في خلقه لم يطلع عليه ملَكاً مُقرَباً ولا نبيًا مرسلاً، وقد جاءت النصوص الشرعية بأمور من القدرُ - مر ذكر بعض منها في مراتب القدر - ومنها ما يدل على نفي الظلم عن

---

(١) سورة الصافات: آية (٩٦).

(٢) المستدرك للحاكم (١/ ٣١، ٣٢)، وانظر: مجمع الزوائد (٧/ ١٩٧).

(٣) سورة الليل: الآيات (٥-١٠).

(٤) تقدم تخريجه.

الله تعالى كقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾[1] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

ومنها إثبات القدرة والمشيئة للعباد وإسناد أفعالهم إليهم، وسيأتي بيان هذا في الكلام على مذهب السلف في القضاء والقدر، فعلى ضوء ما ورد يدرك المخاطبون - على اختلافهم - شيئاً من القدر كل بحسبه مما يقودهم إلى الإيمان والتسليم بما أخفاه الله عنهم، وهو من الغيب الذي يؤمن به المتقون المسلمون بعلم الله الشامل وقدرته على كل شيء وخلقه له، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

والرسول - الحكيم الحريص على أمته - حذرها مما يؤدي بها إلى المزالق الخطرة فنهاها عن الخوض في القدر، لأن ذلك مدعاة لقياسه على المحسوسات المشاهدة التي يترتب بعضها على بعض من الماديات التي أمامنا في الحياة، وهذا مسلك خطر يوصل الإنسان إلى الاعتراض على المالك المتصرف، ويوقع في الحيرة والضلال، ولا يصل الإنسان إلى ما يطمئن به القلب إلا إذا امتثل، وترك الخوض في القدر وجعل ما يدرك من أوامر الشرع دليلاً يقود إلى التسليم والرضى بما لم يصل به إدراكه إليه، وفي القرآن الكريم ما يلفت الانتباه إلى مثل هذا في شأن الروح، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾[3] أي لم تؤتوا من العلم إلا شيئاً قليلاً لا يمكنكم من معرفة كنه الروح وحقيقتها إنما يمكنكم من معرفة آثارها حال وجودها في الأجساد.

---

(١) سورة الزخرف: آية (٧٦).
(٢) سورة يونس: آية (٤٤).
(٣) سورة الإسراء: آية (٨٥).



مذهب السلف في القدر

مذهب السلف في القدر يتلخص في الأمور التالية:

(أ) أن الله تعالى علم كل شيء وكتبه وشاءه وخلقه - كما سبق تفصيل ذلك في مراتب القدر -.

(ب) أن للعبد قدرة ومشيئة واختياراً بها تتحقق أفعاله، قال تعالى: ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢) وبمقتضاها يكون الثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) ﴾ (٣).

(جـ) أن قدرة العبد ومشيئته غير خارجة عن قدرة الله ومشيئته، فهو الذي منح العبد ذلك وجعله قادراً على التمييز والاختيار، فأي الفعلين اختار لم يخرج عن كونه داخلاً تحت مشيئة الله وقدرته وخلقه، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ (٤).

(د) أنه يجب الإيمان بالقدر خيره وشره على وجه التسليم وعدم الخوض فيه، لأن كل ما قدره الله تعالى حكمة وعدل وخير ورحمة.



حكم الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به

لا يصح الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به أو فعل ما نهى الله عنه، ويتبين بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وترك الواجبات من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

(١) سورة التكوير: آية (٢٨).
(٢) سورة البقرة: آية ٢٨٦).
(٣) سورة الطور: آية (٢١).
(٤) سورة التكوير: آية (٢٩).

﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾ [١] فنفي الله عنهم العلم فيما ادعوه ووصف قولهم بالظن والتخرص ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾ [٢].
ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما ثبت عن ا لنبي ﷺ من حديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة، فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا ، فكل ميسر، ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) ﴾ [٣] وفي لفظ: «فكل ميسر لما خلق له » [٤] فأمر النبي ﷺ بالعمل و نهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله – تعالى – أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [٥] و قال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٦] ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً مالا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل أو نسيان أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله، فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٤٨). (٢) سورة النساء: آية (١٦٥).
(٣) سورة الليل: آية (٥-١٠). (٤) تقدم تخريجه.
(٥) سورة التغابن: آية (١٦). (٦) سورة البقرة: آية (٢٨٦).

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، لماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أليس شأن الأمرين واحداً؟!

وإليك مثالاً يوضح ذلك: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر، فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله به ورسوله ﷺ أو يفعل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ ثم يحتج بالقدر؟!

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته، ثم احتج بالقدر وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

حكم الاحتجاج بالقدر عند المصائب

الاحتجاج بالقدر على المصيبة جائز، وما قدر على الإنسان من المصائب يجب الصبر عليه والتسليم لما قدره الله، ومن كمال الإيمان الرضى بالمقدور وذلك من الرضى بالربوبية.

يدل على جواز الاحتجاج بالقدر على المصائب حديث احتجاج آدم وموسى - عليهما السلام - قال رسول الله ﷺ: «احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم، أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي: ﷺ «فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى» [1] فآدم عليه السلام احتج بالقدر على المصيبة وهي الخروج من الجنة، وقد حاجه موسى - عليه السلام - بذلك حيث قال: «لماذا أخرجتنا من الجنة؟ فكانت الحجة

---

(١) صحيح الإمام مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ح ٢٦٥٢ ص (٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣).

لآدم على موسى والله - سبحانه وتعالى - قد كتب أن آدم وذريته يعيشون في الأرض وقد خلقهم لذلك كما أخبر - تعالى - بقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾[1]

فكانت الحجة لآدم على موسى، ولم تكن محاجة موسى لآدم عليهما السلام - على المعصية وهي الأكل من الشجرة حيث لم يلمه على ذلك، وموسى - عليه السلام - أعلم من أن يلومه على ذنب تاب منه وتاب الله عليه، وآدم - عليه السلام - أعلم من أن يحتج بالقدر على أن المذنب لا ملام عليه. والله أعلم.



أسئلة

س١: ما المراد بالقدر؟ وما معنى الإيمان بالقدر؟ وما الدليل؟

س٢: ما معنى كون الشر ليس إلى لله؟

س٣: كم مراتب الإيمان بالقدر؟ واذكرها مرتبة مع ذكر الأدلة.

س٤: ما فائدة النهي عن الخوض في القدر؟

س٥: ما مذهب السلف في القضاء والقدر مع الاستدلال؟

س٦: ما حكم الاحتجاج بالقدر في ترك ما أمر الله به؟ مع ذكر الدليل.

س٧: ما حكم الاحتجاج بالقدر عند المصائب ولماذا؟ وما الدليل على ذلك؟

---

(١) سورة البقرة: آية: (٣٠).